موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٧)

إصلاح ذات البين

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ⓒ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-١٩٢-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٧)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-١٩٢-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٧)

موقع الشيخ مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الإصلاح لغةً	٩
الإصلاح اصطلاحًا	١٠
الحاجة إلى الإصلاح	١٥
الإصلاح ومكانته	١٧
دور المرأة العربية في الإصلاح	٢٢
الإسلام ودعوته إلى الإصلاح	٢٦
فضل إصلاح ذات البين	٣٩
أجر المصلحين	٤٠
المصلحون وتجاوز الحقيقة	٤٥
المصلحون والنجوى	٤٧
إصلاح ذات البين وبذل المال	٥٠
مواطن الإصلاح	٥٥
الإصلاح بين الأفراد	٦٤
الإصلاح في الديات	٦٩
صفات المصلحين	٧٣
حاجتنا إلى الإصلاح	٧٥
إصلاح ذات البين ودوره في التربية	٧٩
الفهارس	٨٥

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

أودعت النفس البشرية نوازع الخير ونوازع الشر، وخُلقت في هذه الحياة للابتلاء والاختبار، مع ضعف جِبِلّي يسهل معه انحرافها عن الجادة إن لم تكن محصنة بقيم وعادات وأخلاق فاضلة تجنبها الوقوع في الخطأ، وذات حصانة إيمانية قوية، ووعي بحقيقة الحياة والخلق والغاية. والنفس تميل مع الهوى وتستطيب الدعة والأمن والطمأنينة، وتكره أن يصيبها الظلم والعدوان ولكنها تجنح أحيانًا فتعتدي بدافع الحرص والطمع والشهوة، وتغتصب رغبة وحبًا في التملك دون عناء، وتثأر بحجة الكرامة والسمعة، وتغضب لأتفه الأسباب، فيتولد نتيجة لذلك تصدعات في جدران المجتمع، وآثار وخيمة العاقبة، وفساد عظيم، ونفور بين الناس، وتنازع وحروب وخلافات.

هذه الخلافات والعداوات التي تفرزها الشحناء والبغضاء والأخلاق الذميمة، وضع لها الإسلام الدواء الناجع، والحل السديد، فقد أمر بما فيه وقاية من هذه الآفات الوبيلة، وربى أبناءه على مكارم الأخلاق التي تعصم عند تطبيقها من وقوع الفتن والمنازعات والخصومات بينهم.

فقد أمر بنبذ الفرقة وحث على التآلف والتكافل، بترسيخ مبادئ رفيعة مثل إفشاء السلام، والحب في الله، وصلة الأرحام، والإحسان إلى من أساء إليك، والعفو عند المقدرة، والكلمة الطيبة، والصفح، والتسامح، وترك المراء ولو كان صاحبه محقًا، والتعاون على البر والتقوى، وغيرها..

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمون. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا

www.mtenback.com

كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1].

ففي هاتين الآيتين وصايا عظيمة تهدف إلى البعد عن المنازعات والخلافات التي تستدعي بذل جهود عظيمة في الإصلاح، وفّرها المجتمع الصالح، ودعا إليها، وفرض احترامها على أبنائه.

لكن هذا لا يعني أن المجتمع الإنساني سيخلو من خصومات، ومنازعات، واختلافات تستدعيها الطبيعة البشرية. والتفاوت في التفكير، وتعدد الرؤى، وتنوع المشارب، وتباين العادات والأفهام لابد أن يحدث ما يؤدي إلى أنواع من التنازع والخلاف أثناء المعاملة. وعند وقوع مثل هذه الخصومات أمرت الشرائع السماوية والقوانين البشرية بالإصلاح بين المتخاصمين، ورغبت في ذلك من أجل إزالة الشحناء، وربط الأواصر المنقطعة، وإعادة الحياة إلى طبيعتها، والعيش بأمن وسلام دائم مستقر ينعم به الناس كافة.

وإصلاح ذات البين بابٌ من أبواب الخير الذي تدعو إليه الفطرة البشرية، والأديان جميعًا، وهو من مكام الأخلاق التي تغذي الحضارة الإنسانية، التي لا تنمو وتتأصل إلا إذا كانت هذه المكارم رافدة لها، ولا نبالغ إذا قلنا إنّ أغلب الحضارات والمدنيات القديمة والحديثة التي بادت، إنما بادت بسبب افتقارها إلى مكارم الأخلاق، ونضوب ينابيع الخير والقيم والمبادئ في فطرة أبنائها. وأما الحضارات الإنسانية التي ظلت محافظة على أخلاقها وقيمها، فقد ظلت شامخة عقودًا من الزمن، وما زالت، وستبقى؛ لأن مقومات تلك الحضارة تنبع من القيم ومكارم الأخلاق، ولأنها ظلت حية في سلوك أبنائها وتصوراتهم، وإن ضعفت ورقت وذوى مجدها في فترات متباعدة

[1] سورة الحجرات: ١١-١٢.

www.mtenback.com

من تاريخها؛ فالأمة التي تحتفظ برصيد من القيم والأخلاق في ذاكرتها التاريخية العميقة، لا تلبث أن تعود بتمسكها بهذه القيم والمبادئ والأخلاق فتستعيد ما فقدت في غفلتها أو ضعفها. إضافة إلى أن المدنية التي قامت على القوة فقط دون غيرها من عوامل الاستمرار لا تستطيع البقاء إلا فترة قصيرة من الزمن، وسرعان ما تزول بزوال عنصر القوة ومقوماتها، أما الحضارات التي جعلت مكارم الأخلاق من أولويات اهتماماتها، فقد عمرت قرونًا من الزمن، ولا تزال شواهد بقائها ماثلة للعيان في أنحاء كثيرة من المعمورة.

ولو تأملنا حضارة الإسلام لوجدناها قد اتخذت من عنصر الأخلاق دعامة لصروحها، وأساسًا لمجدها، ولا يزال الإسلام قويًا بمبادئه وأخلاقه على الرغم من تكالب الظروف، والمحاولات المذهلة التي تعرض لها المجتمع، فهزت الثوابت، وحاولت أن تجرده من سلاح الأخلاق، وتحطم القيم العظيمة في مبادئه وسلوكه.

ولا شك أن الحضارة الإنسانية لابد لها من مقومات كثيرة مترابطة منها الالتزام بالأوامر الكريمة التي تدعو إلى الخير، ومنها اجتناب النواهي التي تمنع الضرر والشر، ومنها شيوع الألفة والمحبة وتمتين الأواصر بين أفراد المجتمع، ومنها العدل والمساواة في الحقوق والواجبات كل على حسب قدرته، وعدم التفاضل في الجنس والنسب، ومنها احترام إنسانية الإنسان وتفكيره وميوله ورغباته الخيرة بضوابط تنفع المجتمع، وغير ذلك مما لا مجال لحصره.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الإصلاح لغة:

الصلاح ضد الفَسَاد، وقد أَصْلَح الشيء بعد فساده: أقَامهُ. ويُقال: وقع بينهم صُلحٌ أي: تصالح القومُ بينهم، وهو السِّلْم، والإصلاح: اتفاق طائفةٍ مخصوصةٍ على أمر مخصوص[٢].

والبَيْنُ في كلام العرب جاء على ثلاثة أوجه:

أن يكون البين بمعنى الوصل، وهو من الأضداد، أو يحتمل معنى الفُرقة، أو يكون بمعنى الوسط.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾[٣]، معنى بينهم أي: تواصلهم في الدنيا جعلناه موبقًا لهم يوم القيامة، أي هلاكًا.

والمباينة: المفارقة، وتباين القوم: تهاجروا.

وفي حديث الشرب: «أبن القدح عن فيك»[٤] أي: افصله عنه عند التنفس لئلا يسقط فيه شيء من الريق، وهو من البين: البعد والفراق. البينونة: الانفصال.

وفي الحديث في صفته ﷺ: «ليس بالطويل البائن» أي: المفرط طولاً الذي بعُدَ عن قامة الرجال الطوال. وتباين الرجلان: بان كل واحد منهما عن صاحبه، وكذلك في الشركة إذا انفصلا، وبانت المرأة عن الرجل، وهي بائن: انفصلت عنه بطلاق.

وتكون (بَيْنَ) صفة بمنزلة وسط وخلال، يقال: جلست بين القوم، كما يقال: وسط القوم.

فهذه المعاني تتعلق بلفظتي الإصلاح، والبين في أصل اللغة.

---

[٢] الزبيدي: تاج العروس، تحقيق: د. حسين نصار، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، (١٩٦٩م)، ج٦، ص٥٤٧، مادة (صلح).

[٣] سورة الكهف: ٥٢.

[٤] رواه الترمذي، الأشربة، ١٥ باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب.

www.mtenback.com

الإصلاح اصطلاحًا:

أما المعنى الاصطلاحي لإصلاح ذات البين، فهو: إزالة الشحناء والبغضاء، والتوفيق بين المتخاصمين، وإصلاح أمرهم حتى يعود الإصلاح والوئام والوفاق بينهم.

أو إزالة التنافر بين كل متخاصمين متشاقّين اشتد بينهما التنابذ، وهذا عام في الدماء والأموال والأعراض والأديان[٥].

أما حكمه: فهو واجب شرعًا تتوقف عليه قوة الأمة وعزتها ومنعتها، وتحفظ به وحدتها[٦]. وذكر بعض العلماء أنه فرض على الكفاية، فإذا قام أحدهم به سقط عن الباقين، وإن لم يفعلوا أثم الكل[٧].

أهمية الاصطلاح:

يمتاز العرب بقدرٍ كبير من الاهتمام بمكارم الأخلاق، والاعتماد على أنبل العادات، والإيمان بها، والمحافظة عليها حتى صارت القيمة الخلقية دينًا يلازمه العربي ويحافظ عليه، ويحرص على تأصيل معاني الصدق والوفاء بالعهد وتحقيق أسباب الأمن والسلام للناس، فلما جاء الإسلام كان العرب قد قطعوا شوطًا ممتازًا في تحقيق بعض الفضائل والقيم مما جعل النبي ﷺ يقول كلمته المشهورة: «إنما بُعِثْتُ لأتمِّم صالح الأخلاق»[٨].

ومن هذه المكارم والقيم ما يمنع تفسخ المجتمع، ويحمي لبناته من التصدع، ويقوي أواصره وروابطه، مثل: البر بأنواعه العديدة، والأخوة، ونصرة المظلوم،

---

[٥] أنس إسماعيل أبو داود: دليل السائلين، جدة، (١٤١٦هـ)، ص٥٤٠.

[٦] رشيد رضا: المنار، القاهرة، (١٣٤٦)، ج٧، م٨، ص٤٨٧.

[٧] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٨٢/٢).

[٨] رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة، ورواه الحافظ أبو بكر الخرائطي بلفظ: «وإنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». انظر: ابن كثير، شمائل الرسول، دار الرئد العربي، بيروت، ط٢، (١٤٠٧هـ)، ص٧٣.

www.mtenback.com

ومساعدة المحتاجين، والكرم، والشجاعة، والمودة، والألفة، والآداب المحببة للنفس البشرية السوية، وغير ذلك من المكارم التي مارسها العرب، وعملوا على تأصيلها في النفوس سَجية وطبعًا. ولابد أن نقف هنا عند خلق رفيع لابد للمجتمع الذي ينشد الطمأنينة والأمان أن يحافظ عليه، وهو «إصلاح ذات البين»، إذ تنمو به المودة والألفة بين القلوب، عندما تعتري النفوس مشاعر البغضاء والشحناء التي لا تخلو منها طبيعة الحياة، وعلاقة الإنسان بالآخر، وأكثر الناس صلة أحراهم بالاختلاف والشحناء، ولابد من أداة تصلح ما يفسد من العلاقة، وما يعتري من الفتور في صلاتها بالناس، يعود الإصلاح بالصفاء بين الزوجين بعد خلاف وتنافر، ويوفق بين الإخوة بعد التشاجر والنزاع، وتعم به بشائر الود والوئام بين أمم وعشائر ودول وفئات من الناس بعد صراع أو قتال أو تناحر، وصدق الشاعر حين قال[٩]:

إِنَّ المَكَارِمَ كُلَّهَا لَوْ حُصِّلَتْ رَجَعَتْ بِجُمْلَتِهَا إِلَى شَيْئَيْنِ:
تَعْظِيمِ أَمْرِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَالسَّعْيِ فِي إِصْلاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ

ولا أرى أن الشاعر قد غالى في جعله كل مكارم الأخلاق ترجع إلى تعظيم أمر الله سبحانه وتعالى، وإلى السعي في إصلاح ذات البين، فلا شك أن تعظيم أمر الله هو أعلى مراتب الأخلاق، وأن إصلاح ذات البين من أهم تلك المكارم، ففي الإصلاح يعيش الأفراد في المجتمع آمنين مطمئنين لا خوف يعتريهم، أو ظلم يحيك في صدورهم، وفي ظل الإصلاح تُعرف بقية المكارم، وتنمو، وتسعد بالاستقرار النفسي والاجتماعي.

فالكرم والحياء والبر وغيرها من المكارم، لا تجد لها طريقًا في ظل البغضاء والكره، فكيف يحسن الزوج لزوجته في بيت تتعاوره الشحناء والبغضاء؟ وكيف يبر الأخ أخاه إذا لم يكن بينهم صفاء ومودة؟ وهل يقدم الشجاع على الدفاع عن أهله أو قبيلته أو

---

[٩] أنس إسماعيل أبو داود: دليل السائلين، ص٥٤.

www.mtenback.com

وطنه إن كانت البغضاء تسودهم؟ وهل يتبادل الناس الزيارات والصِلات ويشيع بينهم التعاون إلا إذا كانوا إخوة متحابين؟ يسودهم الصلاح ويقوم بينهم الإصلاح.

ففي ظل إصلاح ذات البين يعيش الأفراد في المجتمع متعاونين متحابين، يساعد بعضهم بعضاً في بناء مقومات مجتمعهم. أما في ظل الكره والحقد والبغضاء والتربص فإن الأخ لا يأمن أخاه، والزوجة لا تثق بزوجها، والجار لا ينجو من بوائق جاره، والابن يقع تحت وطأة ظلم أبيه وقسوته، وغير ذلك بحيث يصبح مجتمعاً تسوده صفات الكره والأنانية، ويفتقر إلى البقاء، فما أتعس الحياة التي يغيب عنها المصلحون!

وهذا المجتمع الذي لا يجدد حياته بالإصلاح لابد أن يكون مصيره ومآله وعاقبته الهلاك والدمار، وقد بادت أمم كثيرة بسبب غياب الإصلاح عن حياتها، وقد قص علينا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[10].

فإذا وجد في الأمة ثلة أو بقية يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف، وينهون عن الفساد في الأرض، ويصدون الظالمين عن ظلمهم، فإن الله سبحانه لا يأخذ القرى بظلم إن كان أهلها مصلحين، جادين في طريق الإصلاح، ويسعون إلى تحقيقه في واقع حياتهم، إذ لم يكن الله ليهلكهم بالكفر وحده حتى يضاف إليه الفساد[11].

وفي الحديث: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث[12].

---

[10] سورة هود: ١١٧.

[11] سيد قطب: في ظلال القرآن، تفسير سورة هود، آية ١١٧، (٦٣٢/٤).

[12] رواه البخاري، كتاب الفتن، ٧٠٥٩، وكتاب أحاديث الأنبياء ٣٣٤٦، وكتاب المناقب ٣٥٩٨، واللفظ له، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة ٢٨٨٠، والترمذي، كتاب الفتن، ٢١٨٧، وأحمد في مسنده، مسند القبائل ٢٦٨٦٧، وابن ماجة، كتاب الفتن ٣٩٥٣.

www.mtenback.com

وقد ذكر هنا الصالحين، ولم يذكر المصلحين، لأن الله عز وجل لا يهلك قومًا فيهم مصلحون يقوّمون اعوجاجهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، لأن الإصلاح لا يترك لأسباب الهلاك عملاً يستحق به المجتمع المحق والغياب في ظلمات التاريخ.

ولا شك أن الفطرة البشرية تميل إلى السلام والاستقرار، وتنبذ الحروب والمشاحنات، لما تخلفه من آثار تقضي على الحرث والنسل.

والعرب في أيام الجاهلية عانوا أشد المعاناة من الحروب العنيفة التي جرت بينهم، وكانت تذكيها بعض العادات السائدة، مثل العصبية القبلية، والنزعة إلى طلب الثأر، وهذه فرضت عليهم شن الحروب وتفجير الصراعات بينهم لأسباب عديدة، وكانت الحروب في بعض الأحيان تدوم سنوات كثيرة، وقد اتفق المؤرخون على تسميتها بأيام العرب: وهي غارات ووقعات ومعارك دارت بينهم، وتناقل الرواة قصصها مع ما صحبها من أشعار كانت سجلاً لها.

ومن أشهر هذه الأيام ما وقع بين العرب والفرس، وأيام وقعت بين القحطانيين والعدنانيين، وأيام وقعت بين القحطانيين أنفسهم، وكذلك أيام وقعت بين العدنانيين أنفسهم، وأشهرها أيام البسوس بين أحياء ربيعة، وأيام داحس والغبراء بين أحياء قيس (عبس وذبيان). أما الأولى فقد دامت أربعين سنة، وكان سبب حرب داحس والغبراء رهان على سباق خيل بين قيس بن زهير من بني عبس، وحذيفة بن بدر من ذبيان، ولما دب الخلاف بينهما قُتل رجل من ذبيان، ونشبت عند ذلك الحرب التي دامت أربعين سنة.

ومع أن القبائل العربية خاضت هذه الحروب البشعة، فإنها كانت تراها شرًا مستطيرًا، وبلاءً ماحقًا، ولذلك عرضت محاولات للتخلص من هذه الحروب، قام بها مصلحون، كانوا يحذرون من أخطارها، ويعرضون صور ويلاتها ودمارها.

www.mtenback.com

وكثير من الشعراء الجاهليين دعوا إلى السلم نابذين الحروب، محذرين منها، ومنهم قيس بن زهير العبسي الذي يقول[١٣]:

لَحَا اللهُ قَوْمًا أَرَّشُوا الْحَرْبَ بَيْنَنَا ... سَقَوْنَا بِهَا مُرًّا مِنَ الشُّرْبِ آجِنَا

وله أيضًا[١٤]:

يَوَدُّ سِنَانٌ لَوْ يُحَارِبُ قَوْمَنَا ... وَفِي الْحَرْبِ تَفْرِيقُ الجَمَاعَةِ وَالأَزْلُ

فَيَا ابْنَيْ بَغِيض رَاجِعَا السِّلْمَ تَسْلَمَا ... وَلاَ تُشْمِتَا الأَعْدَاءَ يَفْتَرِقُ الشَّمْلُ

وَإِنَّ سَبِيلَ الْحَرْبِ وَعْرٌ مُضِلَّةٌ ... وَإِنَّ سَبِيلَ السِّلْمِ آمِنَةٌ سَهْلُ

ولأبي قيس بن الأسلت زعيم الأوس في يوم بعاث أبيات في هذا المعنى[١٥]:

مَنْ يَذُقِ الْحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَهَا ... مُرًّا وتَحْبِسُهُ بِجَعْجَاعِ

وللأعشى في هذا المعنى[١٦]:

أَذَاقَتْهُمُ الحَرْبُ أَنْفَاسَهَا ... وَقَد تُكْرَهُ الحَرْبُ بَعْدَ السِّلْمِ

والأعشى من دعاة الإصلاح الذين يعرفون ما يصيب الناس إذا لم ينصاعوا له والأبيات التالية شاهد على وعيه المتقدم على زمنه حيث يقول[١٧]:

بَني عَمِّنَا لا تَبْعَثُوا الحَرْبَ بَيْنَنَا ... كَرَدِّ رَجِيعِ الرَّفضِ وَارموا إلى السِّلْمِ

وَكُونُوا كمَا كُنّا نكونُ، وحَافِظُوا ... عَلَيْنَا كَمَا كُنّا نُحافِظُ عن رُهْمِ

---

[١٣] د. علي الجندي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، القاهرة، دار الفكر العربي، ص٣٤٨.

[١٤] منذر الجبوري، أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، (١٩٨٦م)، ص١٧٣.

[١٥] المفضليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، (١٩٧٦م)، ص٢٨٤.

[١٦] ديوان الأعشى، مطبعة دار صادر، بيروت، ص١٩٨.

[١٧] ديوان الأعشى، ص١٨٥. ورُهْم: حي من أحياء العرب. والرفض الإبل الراعية وحدها.

www.mtenback.com

نِســـاءِ مَوَالِينَـــا البَوَاكِـــي، وأَنْتُـــمُ مَدَدْتُمْ بِأَيْدِينَا حِـــلافَ بَـــنِي غَنْـــمِ
فلا تَكسِرُوا أَرْماحَهمْ في صُدورِكُـــم فَتغشِمَكُم، إنّ الرِّمَاحَ من الغَشْـــمِ

الحاجة إلى الإصلاح:

وفي خضم هذه المعاناة بين القتلى والجرحى، وبعد تصوير مآسي الحـــروب في الجاهلية برز عدد من المخلصين لإنهاء هذه الحروب، حيث ســـعوا في إصـــلاح ذات البين، وعملوا على إبعاد شبح الحرب، وقد سجل الشعر - وهو ديوان العرب - نماذج مشرقة من جهود السادة القلائل الذين عملوا على إصلاح ذات البين، وبذلوا جهـــداً غير عادي في تذليل العقبات التي تعترض الساعين في الصلح، والعاملين على ردم الهـــوة بين المتخاصمين، ورد المعتدي عن اعتدائه، حتى إن لم تكن كل الجهـــود المخلصـــة تستطيع تجنب الوقوع في مأزق الحرب، إلا أنها تخفف منه، وتقلل من أضراره وأخطاره، ولعل فيما يورده صاحب الحماسة كثير مما يصلح الاستشهاد به على ما تبذله العرب في سبيل وقف الحرب والشحناء، وما يعبر عن كره الناس للحرب وحبهم للسلام والأمن، وهذا رجلٌ من بني أسد يلوم قومه على أن يكون النزاع بين طائفتين منهم، ويســـتمر دون أن يرعويا إلى الصلح وطاعة المصلحين، فيقول[18]:

كِلاَ أَخَوَيْنَا إِنْ يُـــرَعْ يَـــدْعُ قَوْمَـــهُ ذَوِي جَامِلٍ دَثْرٍ وَجَمْـــعٍ عَرَمْـــرَمِ[19]
كِـــلا أَخَوَيْنَـــا ذُو رِجَـــالٍ كَـــأَنَّهُمْ أُسُودُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ ضَيْغَمِ[20]
فَمَا الرُّشْدُ في أَنْ تَشْـــتَرُوا بِنَعيمِكُـــمْ بَئِيسًا وَلاَ أَنْ تَشْـــرَبُوا المَـــاءَ بِـــالدَّمِ

---

[18] الأعلم الشنتمري: شرح حماسة أبي تمام، تحقيق: د. علي المفضل، ص٣٣٧.

[19] الجامل: جماعة الجمال. الدثر: الكثير الملتف بعضه ببعض. العرمرم: الكثير.

[20] الشرى: مأسدة قرب بيشة. الأغلب: الغليظ الرقبة. الضيغم: من صفات الأسد، معناه الشديد العض.

www.mtenback.com

ولما نشب النزاع بين بني سليم بسبب ما وقع بين خفاف بن عمير والعباس بن مرداس، قال مالك بن عوف النضري[٢١]:

سَلِيمَ بْنَ مَنْصُورٍ دَعُوا الحَربَ إنَّمـــا ... هِيَ الهُلْكُ لِلأَقْصَـــينَ أَوْ لِلأَقَـارِبِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كانَ فِي حَرْبِ وَائِـــلٍ ... وَحَرْبِ مُرادٍ أَوْ لُـؤَيِّ بْـنِ غَـالبِ
تَفَرَّقَـتِ الأَحْيَـاءُ مِنْهُـمْ لَجَاجَـةً ... وَهُمْ بَيْنَ مَغْلُـوبٍ ذَلِيـلٍ وَغَـالبِ

وكان العربي في الجاهلية يقع في حيرة إذا وقع نزاع في عشيرته، فإذا قتل أحدهم أحد أفراد عشيرته فلا يدري ماذا يفعل، هل يقتل القاتل فيخسر فردًا من عشـيرته، أو يصفح ويعفو ويصبر إيثارًا للإصلاح. قال الحارث بن وعلة[٢٢]:

قَوْمِـي هُـمُ قَتَلُـوا أُمَيْـمَ أَخِـي ... فَـإِذَا رَمَيْـتُ يُصِيبُنِـي سَـهْمِي
فَلَئِـنْ عَفَـوْتُ لأَعْفُـوَنْ جَلَـلاً ... وَلَئِـنْ سَـطَوْتُ لأُوهِنَـنْ عَظْمِـي

وفي خضم أيام داحس والغبراء كان الشعراء ينظرون نظرة الحكماء المصلحين، الذين لا يريدون إزهاق الأنفس، وإراقة الدماء، وكانوا يسعون جاهدين إلى وقف هذه الحروب وإصلاح ذات البين بين المتخاصمين والمتحاربين، منعًا لازدياد الخسائر، حتـى يسود الوئام والحب والطمأنينة بين أفراد القبائل وبرز من الشعراء زهير بن أبي سُـلْمَى الذي سجل مواقف حكيمة في معلقته التي صورت مآسي الحروب وويلاتها بقوله[٢٣]:

وَمَا الْحَرْبُ إلاَّ مَا عَلِمْتُـمْ وَذُقْتُـمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَـا بِـالْحَدِيثِ الْمُرَجَّـمِ
مَتَـى تَبْعَثُوهَـا تَبْعَثُوهَـا ذَمِيمَـةً ... وَتَضْـرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَـا فَتَضْـرَمِ

---

[٢١] الأصفهاني، الأغاني، (١٣٦/١٦).

[٢٢] الأعلم الشنتمري: شرح حماسة أبي تمام ص٣٢٠، وابن قتيبة، عيون الأخبار، ٨٨/٣.

[٢٣] أبو بكر الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، (١٩٦٣م)، ص٢٦٧-٢٧١.

www.mtenback.com

فَتَعْرُكُكُمْ عَـــرْكَ الرَّحَـى بِثِفَالِهَـا وَتَلْقَحْ كِشَـــافًا ثُـمَّ تُنْتَـجْ فَتُتْئِـمِ
فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَـــانَ أَشْـأَمَ كُلُّهُـمْ كَأَحْمَرِ عَـادٍ ثُـمَّ تُرْضِـعْ فَتَفْطِـمِ
فَتُغْلِلْ لَكُـــمْ مَـا لاَ تُغِـلُّ لأَهْلِهَـا قُرًى بِالْعِرَاقِ مِـــنْ قَفِـيزٍ وَدِرْهَـمِ

وبعد تصوير مآسي الحرب وما تجره من ويلات وظلم، يقوم الشعراء بدعـــوة المتحاربين إلى وقفها، فإذا استجاب المقتتلون للنداء، واجتمعوا للتفاهم، ووافقوا علـــى الصلح، يعود الوئام والإخلاص، ويصبحون إخوة متحابين متآلفين. وذلك ما حصـــل لبكر وتغلب، فقد ساد بينهما الحب والصفاء بعد محاولات جادة لإصلاح ذات البـــين أثمرت خيرًا، فقال أمية بن أبي الصلت[٢٤]:

أَلا قُـــلْ لِلْقَبَـــائِلِ إِنَّ بَكْـــرًا وَتَغْلِـبَ بَعْـدَ حَرْبِهِـمُ سِـــنِينَا
أَطَـاعُوا اللهَ فِـي صِلَـةٍ وَعَطْـفٍ وَأَضْحَـوْا إِخْـــوَةً مُتَجَاوِرِينَـــا
أُسَـاةٌ شَـاعِبونَ لِكُـلِّ صَـــدْعٍ وَكُـلُّ جَرِيَـرةٍ فِيهِـمْ وَفِينَـــا[٢٥]

الإصلاح ومكانته:

لم يخلد التاريخ العربي - في فترة ما قبل الإسلام - عظيمًا كما خلّد هرم بـــن سنان المرّيّ الذي كان مدخله إلى التاريخ هو إصلاح ذات البين بين حيين من أحيـــاء العرب، أكلتهم الحرب أربعين عامًا، وقلّ من ينهض بالصلح بينهم ويطفئ نار الحـــرب المستعرة، حتى وفق إلى ذلك هرم بن سنان، وشاركه في عمله الحارث بـــن عـــوف، فَخُلِّدا بشعر يطريهما ويشكر صنيعهما، لما وقع في نفوس العرب الذين يحبون إصـــلاح ذات البين من شعور عبر عنه زهير بن أبي سلمى بقوله[٢٦]:

---

[٢٤] ديوان أمية بن أبي الصلت، بيروت، ص٨٢.

[٢٥] الأساة: الأطباء، وأراد بهم المصلحين. شاعبون: مصلحون. والشّعّاب: من يصلح الأواني المكسورة.

[٢٦] أبو بكر الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٢٥٢-٢٦٢.

www.mtenback.com

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا ... تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالدَّمِ
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ ... رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرِمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدرِكِ السِّلْمَ وَاسِعًا ... بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيتُمَا ... وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ

وأصبحت عبس وذبيان بعد هذا الصلح متحابتين متعاونتين، ودعوة الصلح التي سجلها زهير في معلقته كانت دعوة للحكماء من الطرفين.

وفي تسجيل هذه الواقعة شعرًا، موقف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ابنة هرم بن سنان، فقال لها: ما وهب أبوك لزهير؟ قالت: أعطاه مالاً وأثاثًا. قال: ما أعطيتموه أفناه الدهر، وما أعطاكموه لا تفنيه الدهور[٢٧].

وقد صدق عمر رضي الله عنه، فالذي أعطاه هرم لزهير قد بلي وفني، والذي أعطاه زهير للسيدين بقي إلى يومنا هذا، وسيبقى إلى ما شاء الله تتدارسه الأجيال لتتعظ به، ولتجعل من سيرتهما الحميدة في إصلاح ذات البين منارًا يهتدي به المصلحون. قال الطائي وذكره في شعره:

مَالِي وَمَالَكَ شِبْهٌ حِينَ أَذْكُرُهُ ... إِلاَّ زُهَيْرٌ وَقَدْ أَصْغَى لَهُ هَرِمُ

وقال آخر[٢٨]:

---

[٢٧] الحصري: زهر الآداب، دار الفكر العربي، ط٢، ج٢، ص٧٠٥. والمبرد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص٤٨٥.

[٢٨] الحصري، زهر الآداب، ص٧٠٥-٧٠٦.

www.mtenback.com

الشِّعْرُ يَحْفَظُ مَا أَوْدَى الزَّمَـانُ بِـهِ والشِّعْرُ أَفْضَلُ مَا يُجْنَى مِنَ الْكَـرَمِ
لَوْلاَ مَقَـالُ زُهَـيْرٍ فِـي قَصَـائِدِهِ مَا كَانَ يُعْرَفُ جُودٌ كَانَ مِـنْ هَـرِمِ

وصارت فضيلة هرم فيما بعد ميزانًا لدى الشعراء يقيسون به فضائل الجود والكرم والإحسان لدى الآخرين، ومن ذلك ما قاله يوسف الجوهر يمدح الحسن بن سهل في مقارنة بينه وبين هرم[٢٩]:

لَوْ أَنَّ عَيْنَي زُهَيْرٍ أَبْصَرَتْ حَسَنًا وَكَيْفَ يَصْنَعُ فِـي أَمْوَالِـهِ الْكَـرَمُ
إِذَنْ لَقَـالَ زُهَـيْرٌ حِيْـنَ يُبْصِـرُهُ هَذَا الْجَوَادُ عَلَى الْعِـلاَّتِ لاَ هَـرِمُ

وهذه الأعمال الصالحة الخالدة يصدق عليها قول ابن الأعرابي[٣٠]:

وَإِنَّ مِنَ الأَعْمَـالِ دُونًـا وَصَالِحًـا فَصَالِحُهَا يَبْقَـى وَيَهْلِـكُ دُونُهَـا

وهناك أمثلة كثيرة في هذا المجال نذكر منها أنه: لما قتل جساس كليبًا قدم على أبيه مرة، فقال له أبوه بلغة الحكمة والحرص على دماء العرب: إذن نسلمك بجريرتك ونريق دمك في صلاح العشيرة، فلا أنا منك ولا أنت مني، فوالله وددت أنك وإخوتك متمُّ قبل هذا. فرّقت جماعتك، وأطلقت حربها، وقتلت سيدها ورئيسها في شارف[٣١] من الإبل، والله لا تجتمع وائل بعدها أبدًا، ولا يقوم لها عماد في العرب[٣٢].

فالعربي الكريم يدعو إلى التضحية بأغلى ما يملك، حتى لو كان ذلك ابنه وفلذة كبده، من أجل إصلاح ذات البين. وظلت الدعوة إلى إصلاح ذات البين تنتشر بين

---

[٢٩] الحصري: زهر الآداب، ص٧٠٦.

[٣٠] الجاحظ: البيان والتبيين (١٤٧/٢).

[٣١] الشارف من النوق: المسنة الهرمة. القاموس المحيط (شرف).

[٣٢] محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم: أيام العرب في الجاهلية، ص١٤٦-١٤٧.

www.mtenback.com

قبائل العرب، وأصبح لها دعاة من الشعراء يصدحون بشعرهم ليل نهار حفاظًا على دماء قبائلهم.

وهذا بشر بن أبي خازم الأسدي الشاعر الجاهلي، شهد حرب أسد وطيئ، وشهد الحلف بينهما، فوجه نصيحته لبني سعد ومواليهم أن يعتصموا بالصلح[٣٣]:

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي سَعْدٍ رَسُولاً ... وَمَوْلاهُمْ فَقَدْ حُلِبَتْ صُرَامُ

نَسُومُكُمُ الرَّشَادَ وَنَحْنُ قَوْمٌ ... لِتَارِكِ وُدِّنَا فِي الحَرْبِ ذَامُ

وأما قيس بن الخطيم فيذكرنا بدعوته إلى إصلاح ذات البين التي لو عمل بها قومه لما كانت الحروب والمعارك بينهما بإذن الله تعالى، ولكن الحرب اشتعلت وندم القوم ولكن بعد فوات الأوان[٣٤]:

دَعَوْتُ بَنِي عَوْفٍ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ ... فَلَمَّا أَبَوْا سَامَحْتُ فِي حَرْبِ حَاطِبِ

وَكُنْتُ امْرأً لا أَبْعَثُ الْحَرْبَ ظَالِمًا ... فَلَمَّا أَبَوْا أَشْعَلْتُهَا كُلَّ جَانِبِ

أَطَاعَتْ بَنُو عَوْفٍ أَمِيرًا نَهَاهُمُ ... عَنِ السِّلْمِ حَتَّى كَانَ أَوَّلَ وَاجِبِ

أَوَيْتُ لِعَوفٍ إِذْ تَقُولُ نِسَاؤُهُمْ ... وَيَرْمِينَ دَفْعًا لَيْتَنَا لَمْ نُحَارِبِ

والحكيم من العرب في الجاهلية كان يتمثل بمكارم الأخلاق، فيدعو إلى إصلاح العشيرة إن فسدت، وإن رأى صالحًا يدعمه ويقويه. فهذا مضرس بن ربعي يقول[٣٥]:

وَمَتَى نَخَفْ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ ... نُصْلِحْ وَإِنْ نَرَ صَالِحًا لا نُفْسِدِ

وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ ... عَجِلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَنْجِدِ

---

[٣٣] ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص١٢٤.

[٣٤] ديوان قيس بن الخطيم، دار بيروت، بيروت، ص٧٦.

[٣٥] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ص١١٨٣-١١٨٤.

www.mtenback.com

فَنَفُلُّ شَوْكَتَها وَنَفْثَأُ حَمْيَهَا حَتّى تَبُوخَ وَحَمْيُنَا لم يَبْرُدِ[٣٦]

والأعشى له رأي في الحرب والسلم، فهو يصور مآسي الحروب التي تهلك الأبناء، ويرى الخير في الإصلاح[٣٧]:

فَإِنْ حِمْيَرٌ أَصْلَحَتْ أَمْرَهَا وَمَلَّتْ تُسَاقِيَ أَوْلادَهَا

وَجِدْتَ إِذا اصْطَلَحُوا خَيرَهُمْ وَزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَزْنادِهَا

وجاء على لسان أحد الشعراء[٣٨]:

لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلى نِيرانِهَا وَثَبُوا

وَلَسْتُ مِنْهُم وَلاَ أَهْوَى نِضَالَهُمُ لاَ الْقَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهَا وَلا السَّلَبُ

وبهذا يتبين أن كثيراً من الشعراء وغيرهم كانوا يكرهون الحرب، ويعدّون مشعليها ضُلالاً على غير الحق، وكانوا يتبرؤون منها ومن الذين يسعون لها، ويثيرون فتنتها.

ولم يكن إصلاح ذات البين في الجاهلية بين القبائل المتناحرة فقط، بل كان في كل أمر تدعو إليه النظرة السليمة لجمع الكلمة، أو إصلاح أمر ما، فكانوا يتشاورون في مجالس مخصصة لبحث الشؤون العامة، ويجتمعون لحل المشكلات الطارئة، ورفض المنازعات القائمة، والتقريب بين المتخاصمين، وربما كانت دار الندوة في مكة أقرب مثال يدل على هذا.

---

[٣٦] نفثأ: نسكن من فثأت القدر: إذا سكنتَ غليانها. تبوخ: تهدأ وتنطفئ من باخت النار: إذا طفئت.

[٣٧] ديوان الأعشى، ص٦١.

[٣٨] ابن عبد ربه، العقد الفريد (١/١٢٦).

www.mtenback.com

دور المرأة العربية في الإصلاح:

كان للمرأة العربية في الجاهلية دور بارز في الإصلاح بين المتخاصمين، فهي البنت والأم والأخت، لا يسكن لها قرار، ولا يهدأ لها بال في خضم هذه النزاعات، ومن الأمثلة على ذلك ما ترويه كتب الأدب من أن سبب إصلاح ذات البين بين عبس وذبيان امرأة عربية طائية اسمها بهيسة بنت أوس الطائي، وأمها من عبس، جاءها الحارث بن عوف خاطبًا فوافقت بعد مشورة أبيها وأمها، وهُيئت إليه في بيت أبيها، فلما خلا بها وأراد أن يمد يده إليها قالت: مه، أعند أبي وإخوتي؟ هذا والله ما لا يكون. فارتحل بها حتى إذا كان ببعض الطريق وأراد قربانها قالت: أكما يفعل بالأمة الجليبة، أو السبية الأخيذة؟ لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلي. فرحل حتى إذا وصل إلى قومه أعد لها ما يُعد لمثلها، فلما أراد قربانها قالت له: أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها؟ اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك، فخرج الحارث مع هرم بن سنان فأصلحا بين القوم، وحملا الديات، وكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين[٣٩].

وقد اشتهرت بعض النساء في الجاهلية بالفصل في الخصومات، وحسن الرأي، وإصابة الحكم، ومن هؤلاء النساء هند بنت الخس الإيادية، وجمعة بنت حابس الإيادية، وصحر بنت لقمان، وخصيلة بنت عامر بن الظرب العدواني، وحَذَام بنت الريان[٤٠].

أسواق العرب:

كان للعرب أسواق كثيرة في الحجاز ونجد واليمن وحضرموت وفي أنحاء كثيرة من جزيرة العرب، حيث كانوا يجتمعون فيها في أوقات معينة و لم تكن تلك الأسواق

---

[٣٩] الأصفهاني: الأغاني (١٤٢/٩)؛ عبد الكريم محمود الخطيب: بهيسة بنت أوس صانعة السلام، دار الخطيب ط٢، (١٤١٤هـ).

[٤٠] الألوسي، بلوغ الأرب (٣٣٨/١-٣٤٤).

www.mtenback.com

للتجارة فحسب، بل كانت تعقد أيضًا للتحكيم في الخصومات وإصلاح ذات البين، ومفاداة الأسرى، والتشاور في المهمات من الأمور، والمفاخرة بالشعر والخطب، وبث الآراء الإصلاحية من دينية وأخلاقية والتي لها أهمية في بث معنى الإصلاح.

ومن أشهر هذه الأسواق سوق عكاظ، وسوق ذي المجاز، وسوق المجنة، وغيرها. ومن خطباء سوق عكاظ قُس بن ساعدة الإيادي، وهو القائل: «يا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد، وأين المعروف الذي لم يُشكر، والظلم الذي لم يُنكر؟».

وكان عمرو بن هند ممن اشتهر بالإصلاح بين القبائل العربية، ويُروى أنه جمع بين حيين تقاتلا دهرًا، وهما تغلب وبكر ابنا وائل، حيث أصلح بينهما في سوق ذي المجاز، واحتجز من كل حيٍّ مائة غلامٍ رهنًا حتى ينعقد الصلح بينهما، وذات يوم كان في بعض مسيره فأصابتهم ريح سموم فهلك عامة التغلبيين، وسلم البكريون، فقالت تغلب لبكر: أعطونا ديات أبنائنا، فأبت بكر، وكادت الحرب تقع بينهم من جديد، فذكرهم العقلاء منهم بمآسي الحروب، ومنهم الحارث بن حِلِّزَة اليشكري، إذ ذكرهم بالصلح الذي عقده بينهم في ذي المجاز، فقال[41]:

وَاتْرُكُوا الطَّيْخَ وَالتَّعَاشِي وإِمَّا ... تَتَعَاشَوْا فَفِي التَّعَاشِي الدَّاءُ[42]

وَاذْكُرُوا حِلْفَ المَجَازِ وَمَا قُدِّ ... مَ فِيهِ الْعُهُودُ وَالْكُفَلاءُ

حَذَرَ الجَوْرِ وَالتَّعَدِّي وَهَلْ يَنْـ ... ـقُضُ ما فِي المَهَارِقِ الأَهْواءُ

وَاعْلَمُوا أَنَّنا وَإِيَّاكُمُ فِي ... مَا اشْتَرَطْنا، يَوْمَ اخْتَلَفْنا سَواءُ

---

[41] الجاحظ، البيان والتبيين (٣/٧)، الجاحظ، الحيوان (٥/١٧٥). الأصفهاني، الأغاني (٩/١٧١-١٧٢)؛ وشرح القصائد العشر، للتبريزي، (٣٩٢-٣٩٣).

[42] الطيخ: الكلام القبيح، التعاشي: التغاضي عن الشيء.

www.mtenback.com

وذكر ابن الكلبي عن أبيه أن الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء وكان قد شرط أنّ رجل وجد قتيلاً في دار قوم فهم ضامنون لدمه، وبعث معهم رجلاً من بني تميم يقال له العلاق، وذلك لإنفاذ الصلح، وفي ذلك يقول الحارث ابن حلزة[٤٣]:

فَهَلاً سَعَيْتَ لِصُلْحِ الصَّدِيقِ ... كَصُلْحِ ابْنِ مَارِيَةَ الأَقْصَمِ

وَقَيْسٌ تَدَارَكَ بَكْرَ العِرَاقِ ... وَتَغْلِبَ مِنْ شَرِّهَا الأَعْظَمِ

وَبَيْتَ شَرَاحِيلَ فِي وَائِلٍ ... مَكَانَ الثُّرَيَّا مِنَ الأَنْجُمِ

فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدُوا بَيْنَهُمْ ... كَذَلِكَ فِعْلُ الْفَتَى الأَكْرَمِ

وإصلاح ذات البيّن خلق اجتماعي موروث، فطرت الجبلة عليه، وتوارثته الأجيال جيلاً بعد جيل، لأنهم رأوا فيه الخير والأمان، وهو مما دل عليه الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، كما دعا إليه الحكماء والمصلحون من كل الأجناس والأديان، فشعيب عليه السلام ينادي قومه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٤٤].

ففي هذا بيان للمنهج الإصلاحي الذي سار عليه نبي الله شعيب وسط مجتمع تتقاذفه الأهواء والفتن والغواية، ولكن قومه واجهوه برفض دعوته والإصرار على التقليد الأعمى لموروثاتهم التي وجدوا آباءهم وأجدادهم عليها.

---

[٤٣] المعلقات العشر، ص٣٢٦.

[٤٤] سورة هود: ٨٨.

www.mtenback.com

وهذا الذي كان عليه شعيب عليه السلام هو المنهج ذاته الذي سلكه جميع الأنبياء، قال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿.. وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٤٥].

وأخبر عن وجود المصلحين في الأزمنة الغابرة: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[٤٦].

وهم حتى مع قلتهم كانوا سببًا في دفع البلاء والعذاب المهين.

ولقد تضمنت الدعوات في كل العهود وكل الأصقاع والبلدان هذا الجانب الخلقي العظيم، ولما أشرق نور الإسلام من مكة قبل أربعة عشر قرنًا كانت الدعوة إلى الإصلاح من أولويات المبادئ التي رسخها وأمر بها وحث عليها، كما أن الإسلام نظر إلى العادات والتقاليد العربية التي كان العرب يحافظون عليها، فأبقى على الصالح منها، وأيدها ودافع عنها، ونهى عن القليل من العادات الاجتماعية التي كان بعض العرب يمارسونها، فأصلح ذلك العيب في المجتمع، وبدأ الإصلاح الذي يتفق مع مكارم الأخلاق، ويوافق الطبيعة السليمة، والجبلة الحسنة للعرب، وليس أدلّ على ذلك من الأثر المشهور عن النبي ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». فقد أكد ﷺ أن للعرب مكارم أخلاق، ولهم عادات وقيم وشيم في جاهليتهم استحقت أن يأتي الإسلام ليتممها، ويحافظ عليها، ويبعد عنها ما يعيبها.

وجاء في وصية عامر بن الظرب: «يا معشرَ عدوان، إيَّاكُم والشرَّ، فإنَّ له باقية، وادفعوا الشر بالخير يغلبه، إن من دفع الشر بالشر رجع الشر عليه، وليس في الشر

---

[٤٥] سورة الأعراف: ١٤٢.

[٤٦] سورة هود: ١١٦.

www.mtenback.com

أسوة، ومن سبقكم إلى خير فابتغوا أثره تجدوا فضلاً، إن خالق الخير والشر وسعهما، ولكل يد منهما نصيب[٤٧].

ويدعو دريد بن الصمة الجشمي إلى الإكثار من الخير والابتعاد عن الشر، لأنه يفرق بين القبائل، فيقول: «وسعوا الخير وإن قل، وادفنوا الشر يمت»[٤٨].

الإسلام ودعوته إلى الإصلاح:

إصلاح ذات البين خلقٌ عده الإسلام بابًا مهمًا من أبواب الخير التي تندرج تحت مقاصد الشريعة التي تحقق مصالح العباد، وهو يداني الصلاة والصوم في الأجر والثواب، وربما فاق فضل الصدقة، لما فيه من تحقيق مصالح كثيرة تؤدي إلى استقرار المجتمع، وشيوع الألفة والمحبة والطمأنينة بين أفراده. وقد كان هذا الخلق الاجتماعي محمودًا عند العرب في الجاهلية. وقد كان الإصلاح بين الخلق من أفضل أنواع البر، لأنه يزيل العداوة بين الناس، ويمحو آثارها في القلوب، ويؤلف بعد الفرقة، ويوطد دعائم المجتمع، ويقوي روابطه، وكل ذلك من مكارم الأخلاق.

كما أنه دواء تبرأ به أمراض التنابذ والشقاق، ولرأب الصدوع، وعلاج داء الفرقة الذي يضعف المجتمع ويهون من شأنه، فيجعله عرضة لأطماع الأعداء والمفسدين في الأرض.

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الفضيلة في مواضع كثيرة بالترغيب بممارستها وإظهار آثارها الحميدة في المجتمع أحيانًا، وبالترهيب من ضدها الذي هو الفساد في الأرض والبغي بغير الحق أحيانًا أخرى. وأولاها اهتمامًا بالغًا لما لها من أثر إيجابي على المجتمع البشري الذي لا تقوم أسسه وقوانينه الإنسانية إلا إذا توفر لها من يصلح شأنها.

---

[٤٧] أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص٥٩.

[٤٨] أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص٢٨.

www.mtenback.com

فمن الأمثلة على الترغيب في الإصلاح قوله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤٩]. وقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٥٠]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٥١].

وفي مجال النهي عن الفساد والتحذير منه قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٥٣]. وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[٥٤].

والآيات الكريمة التي تحدثت عن الإصلاح، ونهت عن ضده الذي هو الفساد، كثيرة، وهي تبين أهمية هذا الخلق السلوكي في تهذيب النفوس وإشاعة الفضائل في المجتمع، وتطهيره من الرذائل.

---

[٤٩] سورة النساء: ١١٤.

[٥٠] سورة الشورى: ٤٠.

[٥١] سورة الحجرات: ٩.

[٥٢] سورة محمد: ٢٢.

[٥٣] سورة الرعد: ٢٥.

[٥٤] سورة الشعراء: ١٥٠-١٥٢.

www.mtenback.com

وقد أثنى القرآن على سعي المصلحين والساعين بالإصلاح بين الناس، وجعل لهم حقًا معنويًا، وحقًا ماديًا، إذ أجاز أن يكونوا من أصحاب المصارف المالية الشرعية، وأمر بإعطائهم من أخص الأموال، وأكثرها حرمة وتحديدًا، وهي الزكاة، فجعل للغارمين من الناس حقًا فيها، والغارمون هم من يسعون في الإصلاح لذات البين، ويتحملون من أجل السلام والوئام المغارم والديون، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٥٥].

ولولا أهمية السعي في الصلح، وإصلاح ذات البين لما جعل القرآن لها مصرفًا من مصارف المال الخاصة، وحسبها بذلك تقديرًا واحترامًا.

أما في السنة النبوية فقد وردت أحاديث عدة، تبين ضرورة الإصلاح وأهميته، ومن ذلك حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى، قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»[٥٦].

ويُروى عن النبي ﷺ أنه قال: «هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[٥٧].

---

[٥٥] سورة التوبة: ٦٠.

[٥٦] رواه أبو داود، كتاب الأدب ٤٢٧٣، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٢٥٠٩. وقال الترمذي: حديث صحيح، ورواه أحمد في مسند القبائل ٢٦٩٦٢، والإمام مالك في الموطأ، كتاب الجامع ١٦٧٦ بنحوه.

[٥٧] سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٢٨٠٩، والمنذري، الترغيب والترهيب، (٤٨٨/٣).

www.mtenback.com

كما جعل الإسلام إصلاح ذات البين تجارة مبرورة رابحة، لما يترتب عليها من أجر عظيم وثواب جزيل في الآخرة، فقد روي أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب: «ألا أدلك على تجارة؟ قال: بلى، قال: صل الناس إذا تفاسدوا وقرّب بينهم إذا تباعدوا»[٥٨].

وحث الإسلام على كل فضيلة تحمي المجتمع من كل ما يخدش تماسكه، ويخلخل بناءه، ويصدع جدرانه..

وما من مجتمع التزم بالمبادئ الفاضلة، والسلوك المقبول، إلا كان مجتمعًا نموذجيًا، قويمًا، تنعدم أو تقل فيه المشاحنات والنزاعات، فالفرد في المجتمع يجب أن يلتزم الانضباط بالقواعد العامة، ويراعي الحقوق التي للآخرين، ويؤدي الواجبات التي عليه، ويقف عند حقه ولا يعتدي على حق غيره، ويبادر أفراد مجتمعه بالسلام والقول الحسن ملتزمًا بالآداب الحسنة، والأعمال المحببة إلى النفوس، ومن الآداب حسن الرد عند الخطاب، أو الكلام، أو السلام، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٥٩]. إن طرح السلام وإفشاءه خلق يجلب الصفاء ويشيع المحبة والمودة والألفة بين الناس. قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٦٠].

وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما تحابون به؟ أفشوا السلام بينكم»[٦١].

---

[٥٨] رواه البزار والطبراني.

[٥٩] سورة النساء: ٨٦.

[٦٠] سورة فصلت: ص٣٤.

[٦١] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ص٩٣.

www.mtenback.com

و«يا أيها الناس، أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[٦٢].

فالمجتمع الذي يفشو السلام فيه ويلقيه أفراده بعضهم على بعض بمودة إنسانية، لسابق معرفة بينهما أو حتى بدونها، هو مجتمع صالح يقوم على أسس متينة وروابط قويمة، والسلام أول قواعد الإصلاح فيه.

وضعت المجتمعات لها قواعد وقائية في الأخلاق تدفع عن المجتمع أسباب التفرقة والتنازع، وتبعده عن كل ما يفسد ذات البين، ويؤدي إلى الشقاق والتدابر، وقبل أن تدعو إلى إصلاح ذات البين سدّت أبواب الشرّ، ودعت إلى مجتمع آمن تسوده القيم الأخلاقية العظيمة. وقد أدرك المصلحون الاجتماعيون منذ فجر التاريخ أهمية الرادع الأخلاقي الذي ينمي في النفوس احترام الفضيلة والاستماع إلى صوت الضمير الحي الرادع عن خلل في بنية المجتمع أو الدافع إلى هدم أسسه وقوانينه. وقبل أن يستشري الشرّ بين أفراد المجتمع نادت قوانينه ونظمه بالألفة والمحبة والتعامل الحسن، والتسامح في كثير من شؤون الحياة، واختلافات الناس، وجاءت الرسالات السماوية والتعاليم الدينية، تنهى عما يعكر على الناس صفاء الحياة ونقاءها.

وما من شك أن فساد ذات البين داءٌ ينمو ويترعرع في أجواء الكره والبغضاء والحسد والتجسس والسخرية والغيبة والنميمة، ومستنقعات الفتنة، وغيرها، وكل هذه الأخلاق السيئة حاربها الإسلام ودعا إلى نبذها وتوعد فاعلها بأشد العذاب، كما جاء في الأثر: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذُلُه، ولا يحقِرُه، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره، ثلاث مرات - بحسب امرئٍ من الشر أن

---

[٦٢] رواه الترمذي في كتاب الأطعمة باب ٤٥، ما جاء في فضل الطعام ١٨٥٥ (٢٧/٤).

www.mtenback.com

يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»[٦٣]. وقال رسول الله ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[٦٤].

وقال رسول الله ﷺ: «من ضارَّ مسلمًا ضارَّهُ الله، ومن شاقَّ مُسلمًا شقّ الله عليه»[٦٥].

وإذا نظرنا إلى مشكلات الناس نجد أسبابها سوء الخلق، وفقدان الانضباط السلوكي في أفراد المجتمع، وحب بعض الأفراد - وإن كانوا قلة - الاعتداء على حقوق الناس مهما كانت انتماءاتهم، وقد فرضت المجتمعات الناضجة حدودًا يتعامل أفراد المجتمع في إطارها، ويحترم كل فرد دلالتها ومضمونها، كما شرعت العادات الحسنة، والأعراف المألوفة التي تحث على حسن الصحبة، وحسن المعاملة بين الناس، وكان من هذه التشريعات إصلاح ذات البين، والعمل على رأب الصدع.

وتميزت سيرة المصلحين، وظهرت حسنات الأناة والرفق في الأمور كلها، وكانت سيرة الرسول ﷺ شاهدة بالإصلاح الشامل الذي شهد له العدو قبل الصديق، فقد أدهشت طرق علاجه للمشكلات عقول أولي الألباب، وتعجب لقدرته التي وهبه الله إياها في الإصلاح كل من قرأ سيرته بتأمل وتمعن، وهنا نقف على بعض ما

---

[٦٣] رواه مسلم، كتاب البر والصلة باب ١٠، تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ح٢٥٦٤، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في الغيبة ح٤٨٨٢، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم ح١٩٢٧، وأحمد، باقي مسند المكثرين، ٧٦٧٠، ومالك في الموطأ، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة، ح١٥.

[٦٤] رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب ٣٤ الألد الخصم ح٧١٨٨، ومسلم، كتاب العلم، باب ٢، في الألد الخصم، ح٢٦٦٨، والنسائي، كتاب القضاة، باب ٣٤ الألد الخصم.

[٦٥] رواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية ٣٦٣٥، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الخيانة والغش، (١٩٤٠م).

www.mtenback.com

ورد في هذه السيرة من مواقف إصلاحية رائعة تستدعي الوقـــوف عليهـــا طويـــلاً لاستخلاص العبر والفوائد.

كان رسول الله ﷺ قدوة في إصلاح ذات البين، حتى قبل النبوة، فقد ذكرت كتب السير والمغازي أنه حضر حلف الفضول الذي دعا إليه الزبير بين عبد المطلـــب، فاجتمعت بنو هاشم وبنو زهرة وبنو تيم في دار عبد الله بن جدعان، فصنع لهم طعامًا، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله قائلين: لنكونن مع المظلوم حتى يُؤدَّى إليه حقه ما بـــلَّ بحـــر صوفة، وقد قال عنه رسول الله ﷺ: «ما أحب أن لي بحلف حضرتُه بدارِ ابن جُدعان حُمْرَ النَّعَمِ، وَأني أغدرُ به، هاشمٌ وزُهْرة وَتيمٌ تَحالفوا أن يكونوا مع المظلوم ما بَلَّ بحرٌ صُوفةً، ولو دعيت به لأجبت، وهو حلف الفضول»[٦٦].

وكان قد شارك في أيام العرب الأخيرة وهي حرب الفجار بين قريش وقيـــس، وعرف ما تتركه هذه الحروب من دمار وخراب بين القبائل، وذلك قبل البعثة بعشرين سنة، وعمره يومها عشرون سنة. وانتهت الحرب بفضل شاب هو عتبة بن ربيعة، وما أكمل الثلاثين من عمره، وقد نادى إلى الصلح، فاصطلح القوم، وردت قريش لقيـــس ما قتلت فضلاً عن قتلاهم، فوضعت الحرب أوزارها، وانصرفت قريش وقيس، وقـــد ذكر ذلك رسول الله بقوله: «قد حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم، وما أحـــب أني لم أكن فعلت»[٦٧].

ولما هُدمت الكعبة وأعادت قريش بناءها اختلفوا فيمن يضع الحجـــر الأســـود وينال هذا الشرف العظيم، وكادوا يقتتلون عليه، فقد ادعت كل قبيلـــة أحقيتهـــا في وضع الحجر، ثم اتفقوا على أن يحكموا أول رجل يطلع عليهم من باب بـــني شـــيبة،

---

[٦٦] ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت، لبنان، دار بيروت (١/١٢٨-١٢٩).

[٦٧] ابن سعد، الطبقات الكبرى، (١/١٢٨).

www.mtenback.com

فطلع عليهم رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا، ثم أخبروه الخبر فوضع رداءه وبسطه في الأرض ثم وضع الحجر الأسود فيه ثم قال: ليأخذ كل رجل منكم بطرف من أطراف الثوب ثم ارفعوه جميعًا، فرفعوه ثم وضعه بيديه موضعه ذلك[٦٨]. وكانت هذه الواقعة قبل النبوة، وقد عالج رسول الله ﷺ المشكلة التي كادت تشعل نار الحرب بين قريش والعرب ثانيةً، عالجها برجاحة عقله مؤثرًا إصلاح ذات البين بين قومه وأهله.

وظلت هذه سيرته في مكارم الأخلاق، وقويت بعد النبوة، وصارت نهجًا وديدنًا له في إقامته وظعنه، وفي حله وترحاله، وفي كل أحواله، فاقتبس من هديه وجوب العمل على الإصلاح، وحب المشاركة فيما يهم المجتمع، وهو ما زال مع قومه لم يبعث بعد.

ومن أعماله العظيمة عند وصوله إلى المدينة المنورة قيامه بالإصلاح بين الأوس والخزرج، والعمل على تأليف قلوبهم، بعد أن كانت العداوة مستفحلة متجذرة في القلوب المتنافرة، فألف الله به بين قلوبهم، وصاروا برسالته إخوانًا متحابين، كما وصُفوا في أصدق وصف: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[٦٩].

وقد رأى أحد اليهود، ويُدعى «شاس بن قيس»، نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس يتحدثون فيه إخوانًا متحابين، فغاظه ما رأى من إلفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، فقال: «قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤها بها من قرار». ثم قال لأحد الشباب اليهود: اعهد

---

[٦٨] ابن سعد، الطبقات الكبرى (١/١٤٦).

[٦٩] سورة آل عمران: ١٠٣.

www.mtenback.com

إلى هؤلاء فاجلس معهم، ثم اذكر لهم يوم «بعاث» وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار». ففعل الشاب اليهودي ما أمره به سيده شاس بن قيس، وما كاد يذكر يوم بعاث حتى أطلت الفتنة برأسها، وكادت تنشب أظفارها، حيث تنازع القوم، وقال أحد زعماء الخزرج لآخر من الأوس: «إن شئتم رددناه جذعة»، فغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة - الحرة - ثم تنادوا: السلاح السلاح، وأخذوا في التسابق للحرب إلى المكان المضروب، وكادت تشتعل الحرب الأهلية بينهم، ولكن الأمر بلغ النبي ﷺ فسارع بالخروج إليهم فيمن معه من المهاجرين، وعمل بسرعة على إخماد نيران هذه الفتنة التي صنعها اليهود.

وعندما وصل النبي ﷺ إليهم، خطبهم قائلاً: «يا معشر المسلمين، الله الله.. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بين قلوبكم؟!!».

ونزلت هذه الكلمات على قلوبهم فكانت بردًا وسلامًا، وردّت إليهم رشدهم، وأيقنوا أنهم حادوا عن السبيل، فطأطؤوا برؤوسهم، وأغمدوا سيوفهم، واسترجعوا وبكوا، ثم مشى بعضهم إلى بعض فتعانقوا وأبدوا الندامة، ثم رجعوا مع حبيبهم النبي المصلح ﷺ إلى المدينة وقد أظلتهم الإلفة والمودة من جديد[٧٠].

وفي الحديث أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم»[٧١].

---

[٧٠] انظر: أحمد باشميل: موسوعة الغزوات الكبرى، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط٨، (١٤٠٥هـ)، ١/١٠٤-١٠٦.

[٧١] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب ٣، ح٢٦٩٣، ١/٣٧١.

www.mtenback.com

وقبل غزوة بدر قال النبي ﷺ: «من فعل كذا وكذا، أو أتى مكان كذا وكذا فله كذا» فتسارع الشبان وثبت الشيوخ مع الرايات، فلما فتح لهم جاء الشبان يطلبون ما جعل لهم، فقال لهم الأشياخ: لا تستأثروا بها دوننا، فقد كنا ردءًا لكم تحت الرايات، فأنزل الله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٧٢]، أي أصلحوا نفس ما بينكم، وهي الحال والصلة التي بينكم تربط بعضكم ببعض، وهي رابطة الإسلام، وإصلاحها يكون بالوفاق والتعاون والمواساة والإيثار، وترك الأثرة والأنانية والتفرد[٧٠]. ولم تكن عين رسول الله ﷺ لتغفل عن البنيان الذي وفقه الله لبنائه، وأعانه على ترسيخ أركانه، ولم يكن ليهمل الصف المتراص الذي قومه خلال سنوات الدعوة، وحرص على متانته وقوته، وحصنه بالقيم والأخلاق الربانية القرآنية، ليكون عصيًا أمام محاولات الأعداء التي لا تتوقف للنيل منه، أو تحطيمه وتقويض دعائمه.

إننا لو استقرأنا ما كتب في السيرة النبوية، لَعَرَض لنا كثير من المواقف الإصلاحية الحكيمة التي سجلها نبي الهدى ﷺ، وتركها نبراسًا لمن خلفه، يضيء في الظلمات، ويأخذ بأيدي التائهين نحو بر الهداية والأمن والأمان..

من ذلك – إضافة لما سبق – إصلاحه ذات البين بين المهاجرين والأنصار يوم توزيع الغنائم بعد غزوة حنين، إذ كان نصيب المؤلفة قلوبهم وبعض المهاجرين أكثر من نصيب الأنصار، فكادت الشحناء تعصف بقلوب الأنصار، وتؤثر فيها، حيث وجدوا في أنفسهم وتكلموا، فلما شعر النبي ﷺ بذلك قام فيهم خطيبًا بليغًا ليزيل ما أصاب نفوسهم من موجدة، فقال للأنصار: «أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا أسلموا ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام،

---

[٧٢] سورة الأنفال: ١.

[٧٠] رشيد رضا، المنار، تفسير سورة الأنفال (٢٨/٧).

www.mtenback.com

أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكتُ شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار». قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا بالله ربًا ورسوله قسمًا، ثم انصرف وتفرقوا[٧٣]. وفي الحديث عن أنس بن مالك قال: قال ناس من الأنصار - حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل - فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟ قال أنس بن مالك: فحُدث رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة أدم ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال: «ما حديث بلغني عنكم؟» قال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئًا، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال رسول الله ﷺ: «فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خيرمما ينقلبون به». قالوا: يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم النبي ﷺ: «فستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض»[٧٤].

فهذه الواقعة تدل على حكمة النبي ﷺ وسعيه الدائم لرأب الصدع وتنقية القلوب من الشحناء والضغائن، وإزالة الإبهام عن كل شبهة تفضي إلى نزاع أو

---

[٧٣] قال ابن كثير: رواه الإمام أحمد وهو صحيح، البداية والنهاية، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، ط١، (٣٤٨/٤)، (١٤١٣هـ)؛ وانظر: محمد الخضري، نور اليقين، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ط٢، ص٢٤٤، (١٤٠٠هـ).

[٧٤] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (٣٤٦/٤)، والبخاري مناقب الأنصار.

www.mtenback.com

خصومة. كما تشير إلى الحرص النبوي على تنقية الصف من كل شائبة تشوه بنيانه، وتؤدي إلى تقويض دعائمه.

ولّما بلغه نبأ اعتراض الأنصار على طريقة توزيع الغنائم أسرع لينظر في الأمر عن كثب، ويجمع الأنصار على عجل، وبأسلوبه الرحيم، وبرأفته المعهودة، يوجه خطابه لأولئك الذين وجدوا في أنفسهم لقسمته الغنائم لصالح المهاجرين والمؤلفة قلوبهم، وإيثاره لهم عليهم، فبين حقيقة الأمر، وذكرهم بما هم عليه من فضل في الإيمان والنصرة، ووضح لهم أن المال وأعراض الدنيا الزائلة إنما هي وسيلة يؤلف بها بين القلوب، ويلين النفوس، ويعطي من هو بحاجة ماسة لها، أو بإعطائه بعض المال يضمن نصرته للإسلام وتأييده للمسلمين، فهي وسيلة يصلح بها حال بعض القلوب الجديدة على هذا الدين، ويؤلفها على الإسلام، أما الأنصار الذين تغلغل الإيمان في نفوسهم، وخالطت بشاشته قلوبهم فهم ليسوا بحاجة لمثل هذا الأسلوب، بل هم أرفع شأنًا، وأنبل مقصدًا وغاية، وهم الذين رضوا بالجنة ثمنًا مقابل نصرتهم نبي الهدى ﷺ يوم العقبة، فقالوا: رضينا، لا نقيل ولا نستقيل!!

ولم يقتصر الإصلاح النبوي على القبائل والجماعات، بل كان له ﷺ مواقف كثيرة في الإصلاح بين الأفراد في الخصومات والمشاحنات، ومن الأمثلة على ذلك: تقويمه لأبي ذر – رضي الله عنه – عندما عير رجلاً بأمه وكانت أعجمية، فشكاه لرسول الله ﷺ فقال له: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية»، وقال: «إنهم إخوانكم فضلكم الله عليهم، فمن لم يلائم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله»، فشعر أبو ذر بزلته فلم يعد لمثلها[٧٥]، ويقال إن الرجل الذي عيره أبو ذر بأمه كان الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه.

[٧٥] انظر: محمد يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة، دمشق، دار القلم، ط٦، (١٤١٠هـ)، (٢/٣٦٠).

www.mtenback.com

وقصة صفوان بن المعطل وحسان بن ثابت، حيث زل حسان عندما قذف صفوان وعائشة رضي الله عنهما، فغضب صفوان وقام بضرب حسان بسيفه في قصة مشهورة نوردها هنا للفائدة.

روعي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: وقعد صفوان بن المعطل لحسان فضربه بالسيف قائلاً:

تَلقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ مِنّي فَإِنّني غُلامٌ إذَا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرِ[٧٦]

فجاء حسان إلى النبي ﷺ فاستعداه على صفوان، وكان النبي ﷺ يحب صفوان ويقدر موقفه، فطلب من حسان أن يهبه الضربة ويعفو عن صفوان ففعل حسان[٧٧].

والمواقف في هذا الجانب كثيرة، مثل قصة حاطب بن أبي بلتعة وإرساله رسالة لقريش تتضمن معلومات خطيرة عن تحرك جيش النبي ﷺ لفتح مكة، ومعالجة النبي ﷺ للأمر بطريقة حكيمة فوتت فرصة لشق الصف وإشعال الفتنة.

وكان يصلح كل شيء يراه خلاف الجادة، صغيرًا كان أو كبيرًا، فإذا سمع كلمة نابية أو غيبة أو نميمة أو شتمًا وتجريحًا ظهر أثر ذلك في وجهه، وسارع لبيان الصواب، وتأنيب القائل بأروع صور البيان والتوضيح. وإذا رأى سلوكًا شائنًا أو تصرفًا خاطئًا، أو خللاً في التعامل أو إساءة، قوّمها وبين أثرها، ونهى عن فعلها بقوله أو فعله دون تردد وانتظار.

إن في سيرته ونهجه في الإصلاح بين الناس دروسًا وفوائد كثيرة، ينبغي للمتأمل الوقوف عندها وتدبرها. فالإصلاح كما كان صفة ملازمة له، يجب أن يكون ديدنًا للمصلحين من بعده، حتى تنعكس آثار ذلك على المجتمع بعامة.

---

[٧٦] ذباب السيف: طرفه الذي يُضْرَبُ به. الصحاح للجوهري (ذبب) ص١٢٦.

[٧٧] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، (١٤١٥هـ)، (٣/٣٥٦-٣٥٧).

www.mtenback.com

فضل إصلاح ذات البين:

تتفاوت الحاجة إلى المصلحين في المجتمع، بحسب قوة الروابط الاجتماعية ومدى التمسك بالعقيدة والمبدأ والعمل بالقيم والأخلاق السليمة، فكلما زاد التمسك بالأخلاق الفاضلة قلت الخلافات والنزاعات، وكلما عمّت أجواء المحبة والألفة والود توفرت الحماية الذاتية للمجتمع من المفاسد والشرور التي تؤجج نار العداوة والفرقة.

وهذا يؤدي إلى الاستقرار، أمّا إذا اضمحلت القيم وانكمشت الأخلاق، وتراجعت الفضيلة وعم الفساد، فإن الحاجة تصبح ماسة للمصلحين، وإلا اتسع الفتق على الراقع وعمت الفوضى وساد النزوع إلى الشر.

من هنا كان القيام على إصلاح ذات البين أمرًا ضروريًا لأي مجتمع، وإن وجود المصلحين فيه أمارة خير تبعث على الاطمئنان والشعور بالرضا، لأن وجودهم أشبه ما يكون بدعامة تمنع البناء الاجتماعي من الانهيار، وتثبت الأركان، وتحميها من التصدع، كما أن وجودهم يعيد إلى الحياة الاجتماعية طبيعة الخير والقدوة الحسنة.

ما أجمل المجتمع الذي تسوده علاقات السلام والمودة والحب، وما أعظم من يمشي في الإصلاح بين الناس! فله في كل خطوة أجر ومغفرة.

وقد اهتم العلماء بهذا الجانب الخلقي العظيم، وبينوا فضله بدرر من الحكمة، قال الإمام الأوزاعي: ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار[٧٨].

ويجب على المصلح أن يسبق الزمن، ولا يؤجل معروفه، فربما كان في التأجيل مفسدة، فيفوت الأوان ولا ينفع السعي في الإصلاح.

---

[٧٨] القرطبي، تفسيرة سورة النساء: ١١٤، (٥/٢٤٦).

www.mtenback.com

قال الماوردي: فينبغي على من يقدر على ابتداء المعروف أن يعجله حذار فواته، ولا يهمله ثقةً بالقدرة عليه، فكم من واثق بالقدرة فاتت فأعقبته ندمًا[٧٩].

وقيل لبعض الأعراب: ما أعظم المصائب عندكم؟ قال: أن تقدر على المعروف فلا تصطنعه حتى يفوت، وإصلاح ذات البين أعلى درجة فيه[٨٠].

وعند وقوع المنازعات، تجد لأهل الإصلاح مواقف مميزة، يسطّرون من خلالها صفحات ناصعة، وذلك بتهدئة النفوس الثائرة، وإطفاء نار الغضب، وتقديم النصح، وبذل المال، وأحيانًا التنازل عن كثير من حقوقهم مقابل عودة الوئام والود بعد القطيعة.

وفي هذا المجال نجد عليًا رضي الله عنه يجهز عائشة أم المؤمنين بعد فتنة الجمل أحسن جهاز، ويبعثها إلى المدينة[٨١].

وأساس التوفيق في الإصلاح، وتحقيق الهدف المنشود منه، هو مراقبة الله وحسن النية. فقد قيل: «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس»[٨٢].

أجر المصلحين:

إن أجر المصلحين عند الله كبيرٌ وذلك لما يترتب على الإصلاح من آثار عظيمة، والذي يسعى للإصلاح بين الناس له الدرجات العالية في الآخرة، وله التوفيق والسداد في الدنيا.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «.. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[٨٣]. وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله خلقًا

---

[٧٩] القرطبي، تفسير سورة النساء، آية ١١٤ (٥/٢٤٦).

[٨٠] خالد الرشيد، إصلاح ذات البين وقتال أهل البغي، ط١، (١٤١١هـ)، ص١٧.

[٨١] ابن عبد ربه، العقد الفريد ج٣، ص٤٠.

[٨٢] ابن قتيبة، عيون الأخبار ج٢، ص٣٥١.

[٨٣] رواه البخاري، كتاب المظالم والغضب، ٢٤٤٢، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، ٢٥٨٠، والترمذي، كتاب الحدود ١٤٢٦، وأبو داود، كتاب الأدب ٤٨٩٣، وأحمد، مسند المكثرين من الصحابة ٥٦١٤، وانظر: المنذري، الترغيب والترهيب (٣/٣٨٩).

www.mtenback.com

خلقهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»[٨٤].

وفي الإصلاح بين اثنين صدقة كما ورد في الحديث، عن رسول الله ﷺ قال: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة»[٨٥].

والصلح جالب للمودة، وباعث للأمن والطمأنينة، ومزيل لكل شقاق، ولفاعله من الأجر ثواب شهيد. قال محمد بن المُنْكَدِر: تنازع رجلان في ناحية المسجد، فملت إليهما، فلم أزل بهما حتى اصطلحا، فقال أبو هريرة وهو يراني: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أصلح بن اثنين استوجب ثواب شهيد»[٨٦]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة»[٨٧].

ولهذا نجد المصلحين قديمًا حرصوا كل الحرص على نيل هذا الأجر العظيم، وسعوا لتحقيق فوائده العظيمة، وكانوا على درجة عالية من الخلق القويم، ومن أهم الأخلاق التي اتصفوا بها الحلم، وكظم الغيظ، والإحسان، والعفو عن المسيء، وكأنهم بهذه الخصال يتمثلون قول أبي الأسود الدؤلي[٨٨]:

---

[٨٤] رواه الطبراني وابن حبان وابن أبي الدنيا مرسلاً، انظر: المنذري، الترغيب والترهيب (٣/٣٩٠).

[٨٥] صحيح البخاري، كتاب الجهاد واليسر ٢٩٨٩، ومسلم، كتاب الزكاة، ١٠٠٩، وأحمد، باقي مسند المكثرين ٢٧٤٠٠.

[٨٦] القرطبي (٥/٢٤٧)، تفسير سورة النساء: ١١٤.

[٨٧] القرطبي، تفسير سورة النساء: ١١٤ (٥/٢٤٧) ذكر القرطبي هذه الأخبار نقلاً عن أبي مطيع مكحول بن المفضل النسفي من كتابه اللؤلؤيات، وقد وجده بخط المصنف في وريقة، ولم ينبه على موضعها.

[٨٨] أبو الأسود الدؤلي: ديوانه، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١ (١٩٧٤م)، ص١٦٥.

www.mtenback.com

لا تَنْـهَ عَـنْ خُلُـقٍ وَتَـأْتِيَ مِثْلَـهُ عَـارٌ عَلَيْـكَ إِذَا فَعَلْـتَ عَظِيـمُ

فهم يصلحون أنفسهم قبل أن يباشروا الإصلاح بين الناس، ويقطعون طريق الشر مع خصومهم قبل أن يأمروا غيرهم بذلك، وشعارهم قول شاعرهم أبي الفتح البستي[٨٩]:

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْـتَعْبِدْ قُلُوبَهُـمُ إِذْ طَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَـانَ إِحْسَـانُ

وقد أكدوا هذا التوجه بما أثر عنهم من مواقف تربوية، وحكم بليغة، وكلمات مؤثرة: شتم رجلٌ الشعبي فقال: إن كنتُ كما قلتَ فغفر الله لي، وإن لم أكـن كمـا قلتَ فغفر الله لك.

واغتاظت عائشة رضي الله عنها على خادم لها، ثم رجعت إلى نفسها فقالت: لله در التقوى، ما تركت لذي غيظٍ شفاء.

ومما روي في هذا الجانب، أن معاوية رضي الله عنه قسم قُطفًا، فأعطى شـيخًا من أهل دمشق قطيفة فلم تعجبه، فحلف أن يضرب بها رأس معاوية، فأتاه فأخـبره، فقال له معاوية: أوفِ بنذرك، وليرفق الشيخ بالشيخ[٩٠].

وحكي أن رجلاً قال لضرار بن القعقاع: والله لو قلت واحدة لسمعت عشرًا، فقال له ضرار: والله لو قلت عشرًا لم تسمع واحدة.

وقد شتم رجلٌ عمرَ بنَ ذرّ فقال: يا هذا، لا تُغْرِق في شـتمنا، ودع للصلـح موضعًا، فإني أَمتُّ مشاتَمَة الرجال صغيرًا، ولن أحييها كبيرًا، وإني لا أكـافئ مـن عصى الله فيّ بأكثرمن أن أطيع الله فيه[٩١].

---

[٨٩] أبو الفتح البستي: حياته وشعره، د. محمد مرسي الخولي، دار الأندلـس، بـيروت، ط١، (١٩٨٠م)، ص٣١٤.

[٩٠] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٢٤٥.

[٩١] ابن قتيبة، عيون الأخبار (٣/٢٨٥).

www.mtenback.com

وقال رجل لقوم يتنازعون: هل لكم في الحق، أو فيما هو خير من الحق؟ فقيل: وما يكون خيراً من الحق؟ قال: التحاطّ والهضم، فإنّ أخذ الحق كلّه مرّ[٨٩].

قال المدائني: كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مدارأة في دار بالمدينة، قال: فقالا: نجعل بيننا عمرو بن العاص، فأتياه فقال لهما: أنتما مِنْ فضلكما، وقديم سوابقكما، ونعمة الله عليكما تختلفان!! وقد سمعتما من رسول الله ﷺ مثل ما سمعت، وحضرتما من قوله مثل الذي حضرت، فيمن اقتطع شبراً من أرض أخيه بغير حق يطوقه من سبع أرضين! والحكم أحوج إلى العدل من المحكوم عليه، وذلك لأن الحَكَم إذا جارَ رزئ دينه، والمحكوم عليه إذا جير عليه رزئ عرض الدنيا إن شئتما فأدليا بحجتكما، وإن شئتما فأصلحا ذات بينكما. فاصطلحا وأعطى كل واحدٍ منهما صاحبه الرضا[٩٢].

هذه بعض صور من أخلاق العرب الذين نبتوا بمنابت الصفاء والطهر والعروبة النقية فعاشت أحاديثهم عبراً وأقوالهم خبراً يحمده قائله ويقتدي به من سمعه. وقد دعوا إلى الإصلاح، وتغليب لجانبه، وهذا ديدن العرب قديمًا وحديثًا، وقد قيل للأحنف: ما أحلمك! قال: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري، بينا هو قاعدٌ بفنائه محتَبٍ بكسائه، أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف، فقيل له: هذا ابنك قتله ابن أخيك، فوالله ما حلّ حبوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في المجلس، فقال له: قم فأطلق ابن عمك، ووارِ أخاك، واحمل إلى أمه مائة من الإبل، فإنها غريبة[٩٣].

وكان المصلحون فضلاً عن سعيهم للتقريب والتأليف يستعصون على محاولات الإفساد والتفريق فيما بينهم، وقد تعرض بعضهم لمثل هذه المحاولات، فقد روي أنه

---

[٨٩] ابن قتيبة، عيون الأخبار (٦٣/١). والتحاطّ: التفاعل من الحطّ وهو ترك بعض الحقوق عن طيب نفس.

[٩٢] ابن قتيبة، عيون الأخبار (٧٠/١).

[٩٣] ابن قتيبة، عيون الأخبار (٢٨٦/١).

www.mtenback.com

كان بين حاتم طيئ وأوس بن حارثة ألطف ما يكون بين اثنين، فقال النعمان بن المنذر لجلسائه: والله لأفسدن ما بينهما، قالوا: لا تقدر على ذلك، قال: بلى، فقلّما جربت الرجال في شيء إلا بلغته، فدخل أوسٌ فقال: يا أوس، ما الذي يقول حاتم؟ قال: وما يقول؟ قال: إنه أفضل وأشرف، قال: أبيت اللعن صدق!! والله لو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لأَنْهَبَنَا في مجلسٍ واحد. ثم دخل حاتم، فقال له مثل مقالته لأوس، قال: صدق، أين عسى أن أقع من أوس! له عشرة ذكورٍ أخسّهم أفضل مني. فقال النعمان: ما سمعت بأكرم من هذين الرجلين[٩٤].

من هذه النصوص يتبين لنا عظم الأجر والثواب الذي ينتظر المصلحين بين الناس، وشدة الحرص على الإصلاح، والتفاني في الجمع بين المتخاصمين، والتآلف بين المتباغضين، فهم يقومون بعمل عظيم من أعمال البر والخير، وهو من أفضل ما يتقرب به العبد لربه، حيث لا يرضى بالسكوت عن الشقاق والشحناء بين الإخوة، ولا يروق له النوم وهو يرى العداوة مستفحلة بين جيرانه أو أقاربه أو عشيرته أو أي فئة من فئات مجتمعه، مما يحرك في نفسه العزيمة لرأب الصدع، وإرجاع المتخاصمين إلى سابق عهد الوداد والإلفة.

وإذا كان الأجر من الله سبحانه كبيراً على إصلاح ذات البين وبثّ المعروف وفعل الخير، فإن فضل الله وحمده يظهر على ألسنة الناس شكراً وفي قلوبهم محبةً وتقديراً، فالناس كما ورد في بعض الحديث الشريف: شهداء في الأرض. قال الحطيئة مبشّراً فاعل الخير والمصلح بين الناس[٩٥]:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ

---

[٩٤] ابن قتيبة، عيون الأخبار (٢/٢٤).

[٩٥] ديوان الحطيئة، شرح: أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، (١٤٠١هـ)، ص١٠٩.

www.mtenback.com

المصلحون وتجاوز الحقيقة:

نظرًا لأهمية إصلاح ذات البين، وللحاجة الماسة لجهود المصلحين في المجتمعات، فقد أجاز رسول الله ﷺ للساعي في ذلك شيئًا من تجاوز الحقيقة ما دامت الأمور المترتبة على الإصلاح كبيرة قد تمنع وقوع مفسدة مهلكة قد تحدث شرخًا عميقًا وجرحًا نازفًا ممتدًا في بناء المجتمع.

وهذا الأمر فيه حكمةٌ مهمة في تقديم مصلحة الناس، ومراعاة أحكام الشرع لها، والاهتمام بما فيه صلاح حال للمجتمع، وما يجلب لهم الطمأنينة والسعادة والاستقرار.

كما أنه لابد لمن يعمل بهذه الرخصة أن يكون بصيرًا عاقلاً، يأخذ بها على قدر الضرورة والحاجة إلى الإصلاح، وبما لا يؤدي إلى مفسدة أعظم، بل يقطع دابر الشر وينفي الريبة وسوء الظن.

وفي الحديث: «لا أعده كاذبًا الرجل يصلح بين الناس يقول القول لا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها»[٩٦].

وفي رواية لمسلم: «ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث، تعني الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها»[٩٧].

والتزيد في القول في الإصلاح بين شخصين أو طرفين يجب أن ينقل أحدهما إلى صاحبه خبرًا، ويبلغه كلامًا طيبًا وإن لم يكن قد سمعه من الآخر، لعله يرق قلبه فيبادله بأحسن من هذا الكلام، وربما تزول العداوة والبغضاء بينهما ويتبدل الجفاء صفاء. ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٩٨].

---

[٩٦] رواه أبو داود، واللفظ له ٤٩٢١ باب الأدب، ورواه الشيخان البخاري ومسلم.

[٩٧] رواه مسلم (٤/٢٠١١).

[٩٨] سورة فصلت: ٣٤.

www.mtenback.com

ورخصة التزيد في القول في الإصلاح تدل على وجوب الإصلاح بين النـــاس، وذلك لضرورة إزالة ما علق في القلوب والنفوس من بغضاء، وإشاعة الود وتقريـــب وجهات النظر[٩٩]. إذ إن الإصلاح يستدعي في كثير من الأحيان أن يحاول المصلـــح تبرير أعمال كل طرف، وأقواله، بما يحقق التقارب، ويزيل أسباب الشقاق، وأحيانًـــا ينسب إلى كل الأقوال الحسنة في حق صاحبه ما لم يقله، وينفي عنه بعض مـــا قالـــه ويبدله بأحسن منه مما يرضي الطرف الآخر[١٠٠].

ومن العلماء من قال إن الرخصة هنا إنما تكون في التورية، واســتدلوا بحديـــث عمران بن حصين: «إن في المعاريض لمندوحةً عن الكذب»[١٠١] أي: فسحة وســـعة، يعني فيها ما يستغني به الرجل عن الاضطرار إلى تجاوز الحقيقة، وهو أن يريد بلفظـــه خلاف ظاهره، كقوله: هذا أخي وعنى به أخي في الدين، وبالسقف وعنى الســـماء، وبالفراش الأرض، وبالوتد الجبل..

وحتى لو كان فعل الإصلاح المطلوب مقصوراً على التورية والمقاربة، كما ذكر هؤلاء، فإنّ من الإصلاح ما يتحقق بنقل الكلام الحسن والتغاضي عن غيره، فيما بـــين المتخاصمين..

وقد روي أن رجلاً في عهد عمر رضي الله عنه قال لزوجته: نشدتك بالله هـــل تحبينني؟ فقالت: أما إذا نشدتني بالله فلا، فخرج الرجل حتى أتى عمر رضي الله عنـــه، فأرسل إليها فقال: أنت التي تقولين لزوجك لا أحبك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين نشدني

---

[٩٩] محمد سعود المعيني، أدب الصحبة والمعاشرة، بغداد، مطبعة العاني، ص٣٤٣.

[١٠٠] حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار الندوة الجديدة، بيروت.

[١٠١] جعله البخاري عنوانًا في كتاب الأدب، فقال: باب المعاريض مندوحة عن الكذب، وقال إســـحاق: سمعت أنسًا يقول: مات ابن لأبي طلحة، فقال: كيف الغلام؟ قالت أم سليم: هدأ نَفَسُه، و أرجو أن يكون قد استراح، وظن أنها صادقة.

www.mtenback.com

بالله..؟ قال: ... ليس كل البيوت تبنى على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والإحسان[١٠٢].

من هذه النصوص وغيرها يتبين أن من حق المصلح تجاوز الحقيقة والتزيد في القول بغية تحقيق مراده من الصلح.

المصلحون والنجوى:

النجوى هي السر بين الاثنين، تقول: ناجيت فلانًا مناجاة ونجاء، وهي مشتقة من نجوت الشيء أنجوه، أي خلصته وأفردته، والنجوة من الأرض المكان المرتفع لانفراده بارتفاعه عما حوله، قال الشاعر[١٠٣]:

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ ... وَالْمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ[١٠٤]

والنجوى عرض القرآن بها إذا كانت لا تخدم مصالح الناس ولا تبحث عما يرضي الله وأباح النجوى في عمل الخير بكل صنوفه فقال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١٠٥].

فالاستثناء هنا لغاية حميدة ومصلحة عامة إذا كانت النجوى في هذه المصالح المرسلة، أما في غير ذلك فلا يجب أن تكون النجوى، لما قد يحدث فيها من تدبير غير

---

[١٠٢] انظر هذه النصوص وغيرها: محمد السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة، (١/١٣٩-١٤١).

[١٠٣] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٥/٢٤٥) تفسير سورة النساء: ١١٣-١١٤، والبيت لأوس بن حجر، ديوانه، ص١٦، ونسب أيضًا لعبيد بن الأبرص، ديوانه، ص٥٢.

[١٠٤] النجوة: ما ارتفع من الأرض. العقوة: الساحة وما حول الدار. القرواح: الأرض المستوية.

[١٠٥] النساء: ١١٤.

www.mtenback.com

مقبول لصالح المجتمع ولا يجب أن تبرز أمور الناس من السر والخفاء، إلى العلن والبيان، وظهور النصيحة وإشعار الناس بالاهتمام بالأمور العامة والخاصة للأمة.

وقد يجتمع الساعي إلى الخير مع أخيه عندما يريدان حل مشكلة ما، فيقول له: هيا نصلح بين فلان وفلان، فقد علمت نزاعًا نشب بينهما، وقد يتفقان سرًا على القيام بهذا العمل البار. فهذا العمل مما حمدت النجوى أو التآمر فيه، وتكون مباحة على شرط أن يكون الباعث هو ابتغاء مرضاة الله عز وجل والإصلاح بين الناس، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١٠٦].

أما إذا كان الباعث إلى الإصلاح الشهرة أو الرياء، ففي الغالب لا يوفق المصلح لتحقيق غرضه. لأن الفعل لا يسنده إخلاص وتحرّق في سبيل الغاية.

ومن شروط المعروف ترك الامتنان به، وترك الإعجاب بفعله، لما فيهما من إسقاط الشكر وإحباط الأجر، أما من طلب الرياء والرِياسة فلا ينال الثواب[١٠٧].

وفي رخصة النجوى للإصلاح دلالة على أهمية هذا الباب من أبواب الخير، وإلا فكيف يصبح ما حرم الله حلالاً لولا أن المصلحة المترتبة عليه عظيمة، يحتاج إليها مجتمع نظيف يحرص على أبنائه، ويحميهم ويحمي روابطهم وأواصرهم من كل ما يخدشها ويؤثر في متانتها وقوتها.

إصلاح ذات البين والقضاء:

شرع القضاء لحل النزاعات، وفض الخصومات بقوة السلطان إذا انعدمت الحيل، وشعر أحد المتخاصمين بعجزه عن تحصيل حقه، وحل مشكلته.

---

[١٠٦] سورة النساء: ١١٤.

[١٠٧] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، انظر: ج٥، ص٢٤٧، تفسير سورة النساء.

www.mtenback.com

ولكن القضاء وإن فرض حلاً معينًا على المتخاصمين فإنه في الغالب لا يمحو ويزيل كل آثار الخصومة، خاصة ما يترتب عليها من ضغائن تفسد القلوب، وتظل كامنة فيها، ثم تظهر على الجوارح إذا سنحت فرصة أخرى.

ولذلك فإن على المصلحين أن يسعوا إلى فض الخصومة بين المتنازعين بعيدًا عن القضاء، لأن القضاء يترك ألمًا وأثرًا في النفس، بعيدًا عن الرضا المنبعث من القلب، ولا يُلجأ إليه إلا إذا عجز المصلحون عن الإصلاح.

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: رُدَّ الخصومَ حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن[١٠٨].

وفي رسالة عمر لأبي موسى الأشعري: «الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا حرم حلالاً، أو أحل حرامًا»[١٠٩].

وكتب إلى معاوية في القضاء كتابًا قال فيه: «وآس بين الناس في لحظك وطرفك، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبين لك القضاء»[١١٠].

ويضاف إلى ذلك أن القضاء، يستغرق وقتًا ويستنزف في عصرنا أموالاً وتكاليف بالغة قد يعجز المتخاصمون عن دفعها، وقد تزيد في إفساد ذات بينهم حتى لو تظاهروا بالصلح.

ففي القضاء يمكن ألا تظهر الحقائق على وجهها، بسبب شهادة زور، أو قدرة خصم على الإقناع بأن يكون أطلق لسانًا من صاحبه، أو بمحاباة القاضي لأحد الخصمين بسبب قرابة أو معرفة أو رشوة خاصة في زمن الفساد، وهذا كله يؤدي إلى ضياع الحقوق، وبدلاً من حل المشكلة فإنه يزيدها اشتعالاً، مما يجعل المظلوم يلجأ إلى

---

[١٠٨] القرطبي: سورة النساء: ١١٤، ج٥، ص٢٤٧.

[١٠٩] الجاحظ، البيان والتبيين ج٢، ص٩٤؛ وابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٨٠.

[١١٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٧٨.

www.mtenback.com

أساليب أخرى غير شرعية لتحصيل حقه، وهذا بدوره يؤدي إلى تفاقم العداوة، وتأكيد التقاطع والتدابر.

ثم إن اللجوء للقضاء يضيع الفرصة على المصلحين، ويفوت به فضل الصفح والعفو، إذ يصير حكم القاضي ملزمًا نافذًا، تتابعه سلطة القاضي.

ويُستحب للقاضي أن يعرض الصلح على الخصمين قبل القضاء، فإن رفضا الصلح حكم بينهما بالعدل، علمًا بأن قضاء القاضي لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالاً، لأنه يقضي بما وصل إليه من علم، وربما تخفى عليه أمور لا يعلمها، ولو علمها لتغير الحكم، وانقلب الحق باطلاً والباطل حقًا.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١١١].

وقال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[١١٢].

إصلاح ذات البين وبذل المال:

لابد أن المصلح في سعيه لتحقيق غرضه الكريم، سيبذل جهدًا، ووقتًا، ومالاً في كثير من الأحيان، فإذا كان ذا مالٍ وخيرٍ فإن المروءة أن يسعى بماله لإصلاح ذات البين بين أفراد مجتمعه إذا قامت الخلافات بينهم، كما كان أجدادنا يفعلون، وإن كان لا يملك المال وقد حباه الله جاهًا فعليه أن يسعى بجاهه لتوفير المال من الأغنياء الميسورين. أو يجعل من جاهه وسيلة تستلين القلوب، وتستحيي النفوس، وتطفئ نار الفتنة.

وبذل المال من المصلح أدعى لاستجابة المتنازعين لنصحه وتوجيهه، والنزول عند رغبته في تجاوز الخلاف، ونبذ الفرقة، كما أنه يزيد الرغبة لدى الخصوم في التقارب طمعًا في تحصيل بعض ما يرونه حقًا لهم، ولو كان ذلك من مال المصلح.

---

[١١١] سورة المائدة: ٤٢.

[١١٢] رواه أحمد ومسلم والنسائي.

www.mtenback.com

وربما كان للجمعيات الخيرية والإنسانية دورٌ بارزٌ في الإصلاح ببذل أموالٍ تُخصص لهذا المجال، وتُنفق من أجل حل المشكلات المستعصية، وغالبًا ما تكون النتيجة مثمرة طيبةٍ.

وكذلك نجد بعض الدول أو الهيئات الدولية تستخدم عنصر المال وسيلةً فعالة في الإصلاح بين دولتين متنازعتين، فنسمع عن المساعدة الكبيرة التي تُقدم لكلتا الدولتين المتنازعتين بشرط الكف عن الحرب، وإنهاء حالة العداء.

وربما كانت الحكمة الأساسية من فرض الزكاة في الإسلام هي الإصلاح بين الأغنياء والفقراء، حيث تزول بها الضغينة والحسد من قلوب الفقراء، ويحل مكانهما الود والاحترام والتقدير، مما يحمي المجتمع من صراعات طبقية سمعنا عنها في المجتمعات البشرية الأخرى. وقد جعل الإسلام جزءًا من مصارف الزكاة يدفع للغارمين، وهم الذين يسعون للإصلاح بين الناس.

ويبذل الكثير من الأغنياء أو يوصون بمبالغ كبيرة للجمعيات الإنسانية التي تسعى إلى الإصلاح بين الناس، وتعمل على إشاعة الخير والود والمحبة والسلام، وهذا مُشاهد، وأمثلته كثيرة.

وبهذا يتبين أن المال يُعدّ وسيلةً ضروريةً لتحقيق المصلحين لأهدافهم، والوصول إلى الوئام الذي ينشدون، إذ به تقرب وجهات النظر، ويؤلف بين القلوب المتنافرة، وبه يُطمعُ المصلح الطرفين بقبول الصلح وتنفيذ شروطه، وذلك حين يتيح لهم فرصة الحصول على بعض ماله، أو يدعوهم لوليمة على شرفه، أو يقضي عنهم ديونًا أو ديات أو غير ذلك.

ولو نُظر للأمر من زواية مقابلة لرأينا كَمْ من صلح انفرط عقده بسبب قلة ذات اليد، أو عدم توفر المال اللازم لإرضاء الطرفين أو الشح وعدم البذل من أجل التوفيق بين المتخاصمين.

www.mtenback.com

أما المواقف التي سطرتها لنا كتب الأدب في هذا المجال فكثيرة. منها ما ذُكر أنه خطب الأحنف بن قيس التميمي بالبصرة حين اختلفت الأحياء وتنازعت القبائل فقال: «يا معشر الأزد وربيعة، أنتم إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الصهر، وأكفاؤنا في النسب، وجيراننا في الدار، ويدنا على العدو، والله لأزد البصرة أحبّ إلينا من تميم الكوفة، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام، وفي أموالنا وأحلامنا سعة لنا ولكم». وزعمت الرواة أنها لم تسمع للأحنف إلا هذين البيتين[١١٣]:

فَلَوْ مُدَّ سَرْوِي بِمَالٍ كَثِيرٍ ... لَجُدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بَاذِلا

فَإِنَّ الْمُرُوءَةَ لا تُسْتَطَاعُ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالُهَا فَاضِلا

وقال بعض بني تميم: حضرت مجلس الأحنف وعنده قوم مجتمعون له في أمر لهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «... ما أقرب النقمة من أهل البغي، احتملوا لمن أدل عليكم، واقبلوا عذر من اعتذر إليكم، أطع أخاك وإن عصاك، وصله وإن جفاك، ما أقبح القطيعة بعد الصلة، والجفاء بعد اللطف، والعداوة بعد الود، لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان[١١٤].

هذا هو العربي في حلمه وخلقه ومواقفه المشرفة ولم يكن الأحنف إلا واحدًا من الرجال الذين سجل التاريخ أقوالهم وغيره معه ومثله في العقل والعرب معدن الفضيلة مناط الوفاء وأهل الجود.

وكان عبد الله بن طاهر بن الحسين من أكثر الناس إنفاقًا في وجوه الخير، والإصلاح بين الناس، قال ابن الأثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلاً للمال مع علم ومعرفة وتجربة، وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدًا نبيلاً عالي الهمة شهمًا. وله حكايات كثيرة في هذا المجال.

---

[١١٣] الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص٢٩٢، وج٣، ص٢٠٦. والسرو: الشرف، والمروءة: اللسان (سرا).

[١١٤] الحصري: زهر الآداب، ص٦٤٣-٦٤٤.

www.mtenback.com

قال أحد الشعراء في فائدة المال، وعظيم أثره إذا أريد به بلوغ حاجة[١١٥]:

إنَّ الدَّراهِمَ فِي الْمَواطِنِ كُلِّها ... تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالا

فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً ... وَهِيَ السِّلاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالا

وقال الشاعر[١١٦]:

أَبا مُصْلِحٍ أَصْلِحْ وَلاتَكُ مُفْسِدًا ... فَإِنّ صَلاحَ المَالِ خَيرٌ مِنَ الْفَقْرِ

وقال ابن صرمة، مبينًا أن المروءة والشهامة تستوجب الإنفاق[١١٧]:

وَإِنْ نَزَلَتْ إِحْدَى الدَّوَاهِي بِقَوْمِكُم ... فَأَنْفُسُكُمْ دُونَ العَشِيرةِ فَاجْعَلُوا

وَإِنْ طَلَبُوا عُرْفًا فَلا تَحْرِمُوهُمُ ... وَمَا حَمَلُوكُم فِي المُلِمَّاتِ فَاحْمِلُوا

وقال عبد الله بن جدعان في حيين من العرب، يضرب المثل بنفسه في الدعوة إلى البذل في الصلح[١١٨]:

شَرَيْتُ صَلاحَهُم بِتِلادِ[١١٩] مَالِي ... فَعَادَ الْغُصْنُ مُعْتَدِلاً وَرِيقَا

وتأمل هذا البيت ومعانيه الرائعة، وكيف كان المال وسيلة لإعادة الصفاء والتأليف بين القلوب المتنافرة.

ومما جاء في ذلك أيضًا ما روي أن الهذيل بن زفر الكلابي دخل على يزيد بن المهلب في حمالات[١٢٠] لزمته ونوائب نابته، فقال له: «أصلحك الله، إنه قد عظم شأنك، وارتفع قدرك أن يُستعان بك، أو يُستعان عليك، ولست تفعل شيئًا من

---

[١١٥] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٢٢٧.

[١١٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢٤١.

[١١٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٢٦٨.

[١١٨] الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص١٢٤.

[١١٩] التلاد والتالد: المال القديم الأصلي الذي نشأ عندك، وهو نقيض الطارف.

[١٢٠] الحمالة: الدية التي تُدفع من أجل إصلاح ذات البين.

www.mtenback.com

المعروف إلا وأنت أكبر منه، وليس العجب أن تفعل، ولكن العجب من ألا تفعل» قال يزيد: ما حاجتك، فذكرها، فأمر له بها، وأمر له بمائة ألف، فقال: «أما الحمالات فقد قبلتها، وأما المال فليس هذا موضعه»[١٢١].

ومثله ما روي أن رجلاً من تميم مشى إلى عَتّابِ بن ورقاء، ومحمد بن عمير في عشر ديات، فقال محمد بن عمير: عليّ دية، فقال عتاب: عليّ الباقية، فقال محمد: نعم العون على المروءة المال.

وقال الآخر[١٢٢]:

وَلاَ خَيْرَ فِي وَصْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى طُولِ مَرِّ الْحَادِثَاتِ بَقَاءُ

وفي هذا تقول العرب: «لو لم يكن في الإبل إلا أنها رقوء الدم»[١٢٣]. أي لكفاها فضلاً.

وكان يُقال: «الدراهم مراهم، لأنها تداوي كل جرح، ويطيب بها كل صلح»[١٢٤].

وقد قال عبد قيس بن خفاف البرجمي لحاتم الطائي، وقد وفد عليه من دماء تحملها، وعجز عن بعضها: «إنه وقعت بيني وبين قومي دماء، فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأملي، فقدمت مالي وكنتَ أملي، فإن تحملها فُربّ حقٍ قضيته وهمٍ قد كفيته، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمم يومك، ولم أيأس من غَدِك[١٢٥].

---

[١٢١] الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٦٦-٦٧.

[١٢٢] الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص٢٠٦؛ الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢١٨.

[١٢٣] الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص٢١٣، الرقوء: الدواء الذي يوضع على الدم ليرقئه فيسكن أي أنها تعطى في الديات فتحقن بها الدماء.

[١٢٤] الماوردي: أدب الدنيا والدين.

[١٢٥] الحصري، زهر الآداب، ص١٠٤٥.

www.mtenback.com

وقيل لبعض الحكماء: فما الرأي الذي يجمع القلوب على المودة؟

قال: كفٌّ مبذول وبشرٌ جميل.

والكف المبذول هو إنفاق المال بسخاء.

ومن هذه النصوص يتضح جانبٌ هام يساعد على قطف ثمار الصلح، وتحقيق أهدافه، وهو توفر المال اللازم لجمع الشمل ورأب الصدع، ثم وجود المصلح الذي لابد أن يتنازل عن شيء من ماله بغية الوصول إلى التأليف والتوفيق.

مواطن إصلاح البين:

أقسام الصلح:

ذكر ابن حجر للصلح أنواعًا منها: صلح المسلم مع الكافر، والصلح بين الزوجين، والصلح بين الفئة الباغية والعادلة، والصلح بين المتغاضبين كالزوجين، والصلح في الجراح كالعفو عن مال، والصلح لقطع الخصومة إذا وقعت المزاحمة في الأملاك أو في المشتركات كالشوارع[١٢٦].

صلح المسلم مع غيره:

شرع الإسلام جواز الصلح مع من يقاتلهم من غير المسلمين، ووضع لذلك أحكامًا، وفصل العلماء فيه، و استدلوا عليه بآيات وأحاديث ومواقف من السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين، وتكلموا عنه كثيرًا في باب السياسة الشرعية، والمعاهدات، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[١٢٧]. والمراد صالحهم وسالمهم إن رضخوا لشروط المسلمين.

---

[١٢٦] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري: كتاب الصلح، باب ١، ص٣٧٣.

[١٢٧] سورة الأنفال: ٦١.

www.mtenback.com

ومن الشواهد على هذا النوع من أنواع الصلح، تلك المعاهدة التي أبرمها النبي ﷺ مع اليهود في المدينة، وصلحه مع أهل نجران، وصلح الحديبية المشهور مع قريش، والذي قال فيه النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خُطَّة يعظمون فيها حرمات الله، إلا أعطيتهم إياها»[١٢٨].

وفيه صالح النبي ﷺ قريشًا على أن تتوقف الحرب بين الطرفين مدة عشر سنوات، ووافق على شروط مُجحفة بالمسلمين للمصلحة العامة، ولحاجة المسلمين إلى هذه الهدنة للتفرغ للدعوة ونشر الإسلام خارج إطار الجزيرة العربية.

وفي هذا الصلح كادت تقع فتنة بين المسلمين، وذلك عندما أمر النبي ﷺ صحابته بأن ينحروا ويحلقوا ويتحللوا من إحرامهم حيث قال لهم: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا»، فلم ينفذ أحدٌ منهم أمره دهشةً من الموقف، وحيرةً واضطرابًا، فكرر مقالته ثلاثًا ولكن دون جدوى، فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، واستشارها في الأمر، فكانت نعم المرأة، حيث أشارت بما فيه صلاح المسلمين، فقالت له: «يا رسول الله، أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك» فقام، فخرج، فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا[١٢٩].

وهذا الموقف يُسجل لأم سلمة في مواقف النساء الخالدة في إصلاح ذات البين.

وقد صالح المسلمون أعداءهم في مواقع عدة، مثل فتح بيت المقدس، وفتح دمشق، وغيرها. وكان المسلمون يقدمون الصلح على الحرب، ويعرضونه على خصومهم قبل البدء بالمعركة، ويطمعون بنزول عدوهم عند شروطهم وحقن الدماء.

---

[١٢٨] أخرجه البخاري، ج٥، ص٢٤١.

[١٢٩] ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (١٤١٢هـ)، ط٥، ج٣، ص٢٨٦-٢٩٨.

www.mtenback.com

الإصلاح بين الزوجين:

لا تخلو العلاقات بين الناس من شوائب قد تعكر صفوها، وقد يكون النزاع بين زوجين اختلفا على أمر يسير قد يكبر ويصبح من أصعب الأمور التي لاتحل إلا بالطلاق.

وقد اهتمت الشرائع والأديان بالعلاقة الزوجية والروابط الأسرية اهتمامًا بالغًا، وجاء تفصيل ذلك وبيان دقائق هذه العلاقة أكثر ما جاء في القرآن الكريم الذي حذر من الوقوع في الخلافات التي تؤدي إلى انهيار الرباط الزوجي، ووضع حلولاً للمشكلات التي تقع بين الزوجين، وذلك لأن الأسرة هي اللبنة التي يقوم عليها المجتمع، وبفسادها يفسد المجتمع.

ولذلك شرعت أحكام وقائية تمنع وقوع الطلاق، منها الأمر بمعاشرة الزوجة بالمعروف، والنهي عن مضارتها، وفُرضت حقوق للزوج على زوجته، وللزوجة على زوجها.

وفي حال فشل الحياة الزوجية، أمرهما قبل وقوع الطلاق باللجوء إلى حكمين من أهلهما لفض النزاع والإصلاح.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾[١٣٠].

والمقصود بالحكمين رجلان عاقلان من أصحاب النهي يسعيان للإصلاح والتقريب بين الزوجين بالحكمة والأناة، فهذا باب من أعظم أبواب الخير، إذ به تصلح اللبنة الأساسية في المجتمع، والتي بفسادها يدب الفساد في سائر المجتمع.

عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال: شهدت عليًا وجاءته امرأة وزوجها مع كل واحد منهما فئام من الناس، فأخرج هؤلاء حكمًا، وهؤلاء حكمًا، فقال علي

---

(١٣٠) سورة النساء: ٣٥.

www.mtenback.com

للحكمين: أتدريان ما عليكما؟ إن عليكما إن رأيتما أن تجمعا جمعتما، فقالت المرأة: رضيت بكتاب الله وعليّ. وقال الزوج: أما الفرقة فلا، فقال عليّ: كذبت، والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله عز وجل لك وعليك[١٣١].

وهذا فيه إشارة إلى وجوب نصح الحكمين، واختيارهما من خير الناس، وأن واجبهما التوفيق والجمع لا التفريق. ولقد كان الإمام علي صارمًا في ردّ النزاع وحلّه طبقًا لروح الشرع الحنيف ممثلاً بتوجيهات القرآن الكريم.

وقال الحسن البصري رحمه الله: «الحكمان يحكمان في الجمع لا في التفرقة، لقوله تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ ولم يذكر التفريق[١٣٢].

يلجأ الزوجان إلى التحكيم عندما يفشلان في الإصلاح المنشود بطريقتهما الخاصة، أو عندما يعجزان عن حل ما بينهما بالحسنى والتفاهم. ومن هذه الطرق تنازل الزوجة لزوجها عن بعض حقها مخافة إعراضه عنها، وجفائه لها. قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[١٣٣].

وفي هذا قال الشاعر[١٣٤]:

وَالْعَيْشُ لَيْسَ يَطِيبُ بَيْـ ـنَ اثْنَين فِي غَيْرِ اتِّفَاقِ

وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام: «المرأة العاقلة تبني بيتها، والسفيهة تهدمه»[١٣٥].

---

(١٣١) رواه ابن أبي حاتم: مختصر تفسير ابن كثير، ج١، ص٣٨٧.

(١٣٢) مختصر تفسير ابن كثير، ج١، ص٣٨٧.

(١٣٣) سورة النساء: ١٢٨.

(١٣٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٤، ص١٢٥.

(١٣٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٨٨.

www.mtenback.com

وإنما يكون ذلك بتحملها وصبرها وإيثارها الإصلاح، وعدم ضجرها من بعض تصرفات زوجها، فلا تصنع مثل فعل كثير من النساء اللاتي لا يطقن صبرًا فيسارعن إلى المطالبة بالفراق.

ولا شك أن الإصلاح بين الزوجين من خير الأعمال، لأن فيه درءًا لمفاسد عظيمة تترتب على التفريق، خصوصًا إن كان لهما ذرية، ولذا وجب الاهتمام والعناية بهذا الجانب من جوانب الإصلاح.

وفي حال فشل كل المحاولات واللجوء إلى التحكيم، ينبغي اختيار رجلين من أهلهما لهما صفات الصلاح والتقوى، ويعرفان بحب الخير والصلاح، فإنهما إن عزما على الإصلاح وعقدا النية في قلبيهما على ذلك يوفق الله بينهما.

وإن لم يوفقا للإصلاح بين الزوجين بالتأليف بينهما فإنهما يقرران التسريح بإحسان. فإن فشلا في ذلك رفع الأمر للقاضي أو الحاكم الشرعي.

والصلح بين الزوجين يكون على مرحلتين:

صلح يقوم به الزوجان بعيدين عن كل تدخل خارجي، وذلك حفاظًا على خصوصية حياتهما الزوجية، وما يتخللها من سرية لا يجوز لأقرب المقربين أن يطلع عليها.

وبعدها صلح علني يخرج فيه الحكم من يد الزوجين إلى العقلاء من الأهل، أو إلى القاضي[١٣٦].

والإصلاح بين الزوجين من أعظم القربات، وأفضل الأعمال، لأن في ذلك حماية للمجتمع كله من عوامل الفساد والانهيار والتفتت، إذ بالطلاق يحصل الشتات لأفراد الأسرة وتنهار أركانها، ويكون الأبناء عرضة للفساد والجنوح للانحراف.

---

[١٣٦] المكتب العالمي للبحوث، الخلافات الزوجية في نظر الإسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص٤٨-٤٩.

www.mtenback.com

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيدنيه منه أو قال: فيلتزمه، ويقول: نِعْمَ أنت»[١٣٧].

وما ذلك إلا نتيجة للفساد العام الذي يترتب على الطلاق[١٣٨].

الإصلاح بين طائفتين:

وقد يكون إصلاح ذات البين بين طائفتين، أو قبيلتين، أو عشيرتين وذلك من أخطر الأبواب وأهمها في إصلاح ذات البين، فالنزاع بين الطوائف يترك آثارًا جسيمة، وجراحات عظيمة، تظل جذوتها مشتعلة لأجيال متعاقبة، لما تتركه هذه الآثار من تأخر مظاهر الحضارة والعمران في المجتمع.

ولما كانت العرب في الجاهلية تشهد منازعات كثيرة على مستوى القبائل والعشائر، فإن الحاجة للمصلحين الجادين القادرين على التوفيق كانت ماسة، وسبق ذكر فضل هرم بن سنان في ذلك، وممّا روي في هذا المجال قصة لملك من ملوك اليمن يقال له مرثد الحميري، وقد اشتهر بالإصلاح، وذلك أن سبيع بن الحارث وميثم بن مثوب تنازعا الشرف حتى تشاحنا، وخيف أن يقع بين حييهما شرٌّ فيتفانيا، فبعث إليهما مرثد فأحضرهما ليصلح بينهما، فقال لهما: «إن التخبط وامتطاء الهجاج، واستحقاب اللجاج، سيقفكما على شفا هوةٍ في تَوردُها بوار الأصيلة، وانقطاع الوسيلة، فتلافيا أمركما قبل انتكاث العهد، وانحلال العقد، وتشتت الألفة، وتباين السهمة، وأنتما في فسحة رافهة، فقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب ممن عصى النّصيح، وخالف الرشيد ، وأصغى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء

---

[١٣٧] رواه أحمد، باقي مسند المكثرين، ١٣٩٦٨.

[١٣٨] انظر: د. عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة، مؤسسة الرسالة، ط١، ج٧، ص٣٥٤.

www.mtenback.com

سعيهم، وكيف كان صيور أمورهم، فتلافوا القُرحة قبل تفاقم التأي واستفحال الداء، وإعواز الدواء، فإنه إذا سفكت الدماء استحكمت الشحناء، وإذا استحكمت الشحناء تقبّضت عُرى الإبقاء وشمل البلاء». فقال سبيع: أيها الملك، إن عداوة بني العلات لا تبرئها الأساة، ولا تُشفيها الرّقاة، ولا تستقل بها الكُفاة، والحسد الكامن هو الداء الباطن، وقد علم بنو أبينا هؤلاء أنّا لهم ردءٌ إذا رهبوا، وغيثٌ إذا أجدبوا، وعضدٌ إذا حاربوا ومفزعٌ إذا نُكبوا، وإنا وإياهم كما قال الأول:

إِذَا مَا عُلُّوْا قَالُوا: أَبُونَا وَأُمُّنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أمٌّ ولا أبُ

فقال ميثم: أيها الملك، إن مَنِ نَفِس على ابن أبيه الزعامة، وجدبه في المقامة، واستكثر له قليل الكرامة، كان قرِفًا بالملامة، ومُؤنّبًا على ترك الاستقامة، وإنا والله ما نعتدُّ لهم بيد إلا وقد نالهم منا كفاؤها، ولا نذكر لهم حسنة إلا وقد تطلع منا إليهم جزاؤها، ولا يتفيأ لهم علينا ظلّ نعمة إلا وقد قوبلوا بشرواها، ونحن بنو فحل مُقْرَم لم تقعد بنا الأمهات ولا بهم، ولم تنزعنا أعراق السوء ولا إياهم، فعلام مطّ الخدود وخزر العيون والتكبر؟ ألكثرة عدد، أم لفضل جَلَد، وإنا وإياهم لكما قال الأول:

لاه[١٣٩] ابْنُ عَمِّكَ لا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي وَلا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي

ومقاطع الأمور ثلاثة: حربٌ مبيرة، أو سلمٌ قريرة، أو مُداجاة وغفيرة.

فقال الملك: لا تُنشطوا عُقل الشوارد، ولاتلقحوا العونَ القواعد، ولا تُؤرّثوا نيران الأحقاد ففيها المَتلفة المستأصلة، والجائحة والأليلة، وعَفّوا بالحِلمِ أبْلادَ الكَلْمِ، وأنيبوا إلى السبيل الأرشد، والمنهج الأقصد، فإن الحرب تُقبلُ بزِبْرِجِ الغُرور، وتُدبرُ بالويلِ والثّبور، ثم قال الملك:

---

[١٣٩] لاه: أراد: لله ابن عمك فحذف لام الجر واللام التي بعدها، والبيت لذي الإصبع العدواني، انظر لسان العرب مادة (لوه).

www.mtenback.com

أَلا هَلْ أَتَى الأَقْوَامَ بَذْلِي نَصِيحَةً ... حَبَوْتُ بِهَا مِنِّي سُبيعًا وَمَيْثَما

وَقُلْتُ اعْلَما أَنَّ الْتَدَابُرَ غَادَرَتْ ... عَوَاقِبُهُ لِلذُّلِّ وَالقُلِّ جُرْهُما

فَلاَ تَقْدَحا زَنْدَ العُقُوقِ وَأَبْقِيا ... عَلى الْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ أَنْ تَتَهَدَّما

وَلا تَجْنِيا حَرْبًا تُجَرّ عَلَيْكُمَا ... عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشْأَما

فَإِنَّ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ ... تُفَوِّقُهُمْ مِنهَا الذُّعَافَ الْمُقَشَّما

حَذَارِ فَلا تَسْتَنْبِثوها فَإِنَّها ... تُغَادِرُ ذا الأَنْفِ الأَشَمِّ مُكَشَّما

فقالا أيها الملك، بل نقبل نصحك، ونُطيع أمرك، ونُطفئ الثَّائرة، ونحلُّ الضغائن، ونثوب إلى السلم[١٣٣].

فهذه المبادرة للإصلاح أطفأت حربًا كادت تنشب بين الحيين وتفنيهما، وهذا من حكمة هذا المصلح الذي خلد التاريخ ذكره.

ولما جاء الإسلام ألف الله به بين القلوب، وكان من أعظم مهمات النبي ﷺ أن يصلح بين الناس، ويوحدهم على المحجة البيضاء، ويزيل الضغائن من قلوبهم، وقد أمر القرآن بذلك: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١٤٠].

ولم تكن تقع مشكلة على هذه الشاكلة بين فئتين من المسلمين إلا عاجل النبي ﷺ بوضع حل لها، وقام بعلاجها قبل استفحالها.

---

[١٣٣] القالي: الأمالي، دار الحديث، بيروت، ط٢، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج١، ص٩٢-٩٣.

[١٤٠] سورة الحجرات: ٩.

www.mtenback.com

وفي هذه الآية قاعدة تشريعية عملية لحماية المجتمع من عوامل التفكك والعداوة تحت وطأة حالات الغضب والنزوات العارضة والانفعالات السريعة، يتم ذلك لإقرار الحق والعدل والصلاح، والرجوع في هذا كله إلى الوفاق[١٤١].

والقتال بين الفئتين غالبًا ما يكون بسبب شبهة عرضت يظن كل فريق معها أنه على الحق، فإن كان الأمر كذلك سعى العقلاء بينهم بالصلح عن طريق إزالة الشبهة والتبيين، فإن حصل بغي من إحداهما على الأخرى فيجب قتال أهل البغي وردهم للصواب، فإن فاؤوا وجب الإصلاح بالعدل والقسط. كما بينته الآية الكريمة[١٤٢].

ومن الأمثلة على الإصلاح بين الفئتين ما فعله الحسن بن علي رضي الله عنه، حيث كان رائدًا في إصلاح ذات البين، فقد أصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وقد وافق على التنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان حقنًا لدماء المسلمين، ودفعًا للفتنة الماحقة، وإخمادًا لنار الحرب التي كادت تأكل الأخضر واليابس.

ولا شك أن الناس يتأثرون بدعوة رشيدة من إنسان مشهود له بالعدل والصلاح، وتطمئن نفوسهم باتباعه والتزام أمره. وفضلاً عن ذلك فالإصلاح يستلزم خبرة المصلح بمداخل القوم الذين يصلح بينهم ومراعاة طرق فهمهم وتأثرهم واستجاباتهم.

ومما يروى في الجهد في الإصلاح بين طائفتين، أن رجلاً خطب خطبة طويلة لصلح دعا إليه وأطنب في حديثه، فقال له رجل: أنت منذ اليوم ترعى في غير مرعاك، أفلا أدلك على المقال؟ فقال: نعم. فقال: أما بعد فإن الصلح بقاء الآجال وحفظ الأموال والسلام، فلما سمع القوم ذلك تعانقوا وتبادلوا الديات[١٤٣].

---

[١٤١] انظر: خالد الرشيد، إصلاح ذات البين وقتال أهل البغي، ص١٣.

[١٤٢] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص٢٠٧-٢٠٩.

[١٤٣] الراغب الأصبهاني، حسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة.

www.mtenback.com

ونقل عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قوله: «من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته، أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ»[١٤٤].

وقوله أيضًا: «وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولّى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يُستجاب لكم»[١٤٥].

هذا كله يدل على أهمية الصلح بين الفئتين المتخاصمتين أو المتحاربتين من المسلمين، لأن البقاء على حال الحرب والخصومة خللٌ اجتماعي يضعف الدولة، ويقوض دعائم رفعتها ومجدها، ويطمع الأعداء في خيراتها والهيمنة عليها.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١٤٦].

والإصلاح بين الفئتين المتخاصمتين يحتاج لحكمة وذكاء وفطنة وخبرة، وذلك للتقريب بين وجهات النظر، والإقناع بالتنازل عن بعض الحقوق، والخروج من المآزق الخلافية، وتجاوز العقبات التي تعترض نهج المصلحين، وغير ذلك.

الإصلاح بين الأفراد:

من أنواع الإصلاح، الإصلاح بين الأفراد كالأخوين والجارين والصديقين، وغيرهم، فإن وقعت بين فردين من أفراد المجتمع عداوة واستحكمت في قلبيهما

---

[١٤٤] نهج البلاغة، مؤسسة المعارف، بيروت، ص٦٩٨.

[١٤٥] نهج البلاغة، ص٦١٤-٦١٥.

[١٤٦] سورة الأنفال: ص٤٦.

www.mtenback.com

البغضاء، فالسعي للإصلاح بينهما من أفضل الصدقات لقوله ﷺ: «أفضل الصدقة إصلاح ذات البين»[١٤٧].

عُدّ الإصلاحُ بين الناس من أفضل الصدقة لأن المصلح يبذل أثناء أداء مهمته وقتًا وجهدًا ومالاً، وذلك رغبةً في التأليف بين القلوب، ليعم الخير وينتفي الشر، وهذه أشبه ما تكون بصدقة ينفقها صاحبها في أفضل وجوه الخير.

جاء في الحديث: «من أصلح بين الناس أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة، ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه»[١٤٨].

وهذا الأجر العظيم من باب الجزاء من جنس العمل، فكما أن المصلح يبذل جهدًا ووقتًا ومالاً للحفاظ على تماسك وترابط أبناء المجتمع، فإن الأجر المترتب على هذا العمل عظيم جدًا يُدخر لصاحبه عند ربٍّ غفور.

وفي الحديث: «إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم»[١٤٩].

وليس أعظم نبلاً وخيراً من إزالة الشحناء، والتوفيق بين المتخاصمين، فتتبدل حياة الخوف لديهم إلى أمن وأمان واستقرار.

فالذي أعطاه الله جاهًا ولسانًا طليقًا عليه أن يسعى إلى الإصلاح بين الناس. إضافة إلى ذلك نجد العلماء والأدباء من السلف قد سطروا حكمًا، وسجلوا كلمات خالدة تدعو للتحلي بهذه الخصلة الفاضلة، والقيم الخلقية العظيمة، لأن بها تحيا المجتمعات آمنة مطمئنة، في جو الألفة والمحبة.

---

[١٤٧] قال المنذري: «رواه الطبراني والبزار، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وحديثه هذا حسن الحديث..»، الترغيب والترهيب: ج٣، ص٤٨٩.

[١٤٨] رواه الأصبهاني عن أنس بن مالك، المنذري، الترغيب والترهيب: ج٣، ص٤٨٩.

[١٤٩] رواه الطبراني عن الحسن بن علي في الكبير والأوسط، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب، كتاب البر والصلة، ج٣، ص٣٩٤.

www.mtenback.com

قال الشاعر حاثًا على هذه الفضيلة[١٥٠]:

فَأَحْسِنْ إِذَا أُوتِيـــتَ جاهًـــا فَإِنَّـــهُ سَحَابَةُ صَيْفٍ عَـــنْ قَلِيـــلٍ تَقَشَّـــعُ
وَكُنْ شَافِعًا مَا كُنْتَ فِي الدَّهْرِ قَادِرًا وَخَيْرُ زَمَانِ المَرْءِ مَـــا فِيـــهِ يَشْـــفَعُ

وقال آخر يرغب في الجود من أجل الإصلاح[١٥١]:

فَخَيْرُ مَالِ الفَتَى مَالٌ يَصُـــونُ بِـــهِ عِرضًا وَيُنْفِقُـــهُ فِي صَـــالِحِ العَمَـــلِ
وَالْفَ الأَحِبَّةَ وَالإِخْـــوَانَ إِنْ قَطَعُـــوا حَبْلَ الْوِدَادِ بِحَبْـــلٍ مِنْـــكَ مُتَّصِـــلِ

قال أبو أمامة رضي الله عنه: «امش ميلاً، وعُد مريضًا، وامش ميلين، وزر أخًا في الله، وامش ثلاثة أميال وأصلح بين اثنين»[١٥٢].

وإنها دعوة للتكلف من أجل الإصلاح، وبذل المزيد من الجهد، والحرص عليه، فهو وسيلة لبلوغ غاية عظيمة، وبها يتحقق الوئام، وما ذلك إلا لأهمية الصلح، وأثـــره الطيب الذي يخص ويعم، ولما يترتب على الإصلاح من الثواب العظيم.

وقد حذرت الأديان ونهت عن التباعد والتدابر والتباغض، وتوعدت من قاطع أخاه بعدم قبول العمل حتى يصطلحا، كما نصت كثيرٌ من القوانين البشرية على منـــع الخصومة، وسنت عقوبات متنوعة للمعتدين، أو الذين يصرون على التباعد والمنازعـــة، ولا يستجيبون لداعي الصلح.

ومن الأحاديث التي حذرت من التشاحن والتباغض، وبينت الأثر المترتب على هذه الخصلة الذميمة، ما جاء في الحديث: «تفتح أبواب الجنة يـــوم الإثنـــين ويـــوم

---

(١٥٠) أنس إسماعيل أبو داود: دليل السائلين، ص٥٨.

(١٥١) المنذري: الترغيب والترهيب، ج٣، ص٤٩٠.

(١٥٢) أنس إسماعيل أبو داود: دليل السائلين، ص٥٦.

www.mtenback.com

الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظِروا هذين حتى يصطلحا، أنظِروا هذين حتى يصطلحا»[١٥٣].

وهذا النوع من الإصلاح مهم جدًا، لأن التباغض والتنازع بين الأفراد والجيران عام ما أسهل أن يصيب بدخنه كثيرًا من أبناء المجتمع، ففي الحديث: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»[١٥٤].

وقد تثور فتنة التباغض بين اثنين في مكان العمل، أو في السوق، أو في المنزل، أو في الطريق، أو حتى في المسجد.. وهذا يحتاج إلى جهود كبيرة لحماية المجتمع من هذه الآفة، ولو رجعنا إلى ملفات الشرطة، أو القضاء والمحاكم الشرعية وغيرها، لانكشفت إحصاءات مذهلة عن الخلافات والمنازعات الفردية، حول أتفه الأسباب، وما ذلك إلا لضعف الوازع الديني، وتفشي الجهل، وانتشار العصبية والانتصار للذات.

وقد جاء رجلان إلى النبي ﷺ يختصمان فقال لهما: «إنكم تختصمون إليّ، وإنما أنا بشرٌ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظامًا في عنقه يوم القيامة» فبكى الرجلان وقال كل منهما: حقي لأخي، فقال رسول الله: «أما إذا قلتما فاذهبا فاقتسما، ثم توخيا الحق بينكما ثم استهما، ثم ليحلل كل منكما صاحبه»[١٥٥].

ومما يُروى أنه قيل في مجلس عبد الملك بن مروان: مَن أشعرُ الناس؟ فقالوا: فلان وفلان، وذكروا عددًا من الشعراء.

---

[١٥٣] رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، ٤٦٥٢، ومالك في الموطأ، كتاب الجامع ١٤١٤، وأحمد في باقي مسند المكثرين ٩٦٢٥، ٨٦٩٢، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، ٤٢٧٠.

[١٥٤] رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ٥٠٣٠، وأحمد، مسند البصريين ١٩٧٧.

[١٥٥] مختصر تفسير ابن كثير، ج١، ص٤٣٣.

www.mtenback.com

فقال عبد الملك بن مروان: أشعر والله من هؤلاء الذي يقول:

صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... وَمَا تَسْتَوِي حَرْبُ الأَقَارِبِ وَالسِّلْمُ

وَدَارَيْتُهُ حَتَّى ارْفَأَنَّ نِفَارُهُ ... فَعُدْنَا كَأَنَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا صَرْمُ[156]

وَأَطْفَأَ نَارَ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... فَأَصْبَحَ بَعْدَ الْحَرْبِ وَهْوَ لَنَا سِلْمُ

والقائل هو معن بن أوس المزني، قالها في ابن عم له كانت بينهما شحناء، فصالحه[157]. ومطلع القصيدة:

وذي رحم قلمت أَظْفَارَ ضِغْنِهِ ... بِحِلْمِيَ عَنْهُ وهو لَيْسَ حِلْمُ

ووقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية ملاحاة، ومشى الناس بينهما بالنمائم، فكتب إليه محمد بن الحنفية: أما بعد، فإن أبي وأباك علي بن أبي طالب، لا تفضلني فيه، ولا أفضلك، وأمي امرأة من بني حنيفة، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، فلو مُلئت الأرض بمثل أمي لكانت أمك خيرًا منها، فإذا قرأت كتابي هذا فاقدم حتى تترضاني، فإنك أحق بالفضل مني[158].

ولما وصل كتاب محمد بن الحنفية إلى الحسن قام لساعته وذهب إليه، فالتقى به في منتصف الطريق، فتعانقا وتصالحا وبكى الاثنان[159].

والسعي للإصلاح بين المتخاصمين في هذا الجانب خلق عظيم يترتب عليه أجرٌ كبير وهو متاح للجميع، ولكن أصحاب الهمم العالية من المصلحين قلة، وأغلب الناس يقف عند نزول النازلة، وحدوث النزاع موقف المتفرج، هذا إن لم يشارك بتأجيج نار هذه الفتنة والعياذ بالله.

---

(156) ارْفَأَنَّ: سكن وهدأ، الصَّرْم: القطيعة.

(157) القالي، الأمالي، ج٢، ص١٠٢، والحماسة، ص.ص٦٩٨-٧٠٠.

(158) الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب ج١، ص٦٢.

(159) أنيس أبو داود: دليل السائلين، ص.ص٥٦-٥٧.

www.mtenback.com

الإصلاح في الديات:

وقد يكون الإصلاح في الديات والجراح والقصاص، وذلك عند وقوع حوادث القتل أو الجراحات، فيلزم القصاص، ويرفع الأمر إلى القضاء، فيعرض القاضي على أولياء المقتول، أو المصاب بجراحة، العفو عن الجاني، والتنازل عن حقهم في القصاص، ويسعى أهل الإصلاح في ذلك ببذل المال، وإقناع أصحاب الحق بالتنازل عن إيقاع القصاص.

وفي الحديث: «على المقتتلين أن ينحجزوا الأول فالأول وإن كانت امرأة»[١٦٠].

ومعنى «على المقتتلين»: أي أولياء المقتول الطالبين القصاص، وإنما سماهم مقتتلين لما ذكره الخطابي، فقال: يشبه أن يكون معنى المقتتلين هنا أن يطلب أولياء القتيل القصاص، فيمتنع القتلة فتنشأ الحرب والقتال من أجل ذلك، فجعلهم مقتتلين لهذا السبب، وبهذا المعنى. وقوله: «أن ينحجزوا» أي: أن يمتنعوا ويكفوا عن القصاص بعفو أحدهم الأول فالأول، أي الأقرب فالأقرب وإن كان امرأة[١٦١].

ومن هنا كان الإصلاح في هذه الحالة مهمًا، لأن إيقاع القصاص قد لا يحل المشكلة نهائيًا، إذ تتولد بعض الضغائن في قلوب أولياء القاتل الذي وقع عليه القصاص، فيضمر ضعاف القلوب منهم الحقد والضغينة على أولياء المقتول الذين رفضوا العفو والتنازل. والإصلاح بين الطرفين يزيل هذه الضغائن ويؤلف القلوب في الغالب، ويحمي بإذن الله تعالى من تفاقم الخطر الناجم عن الغل الكامن في الصدور.

هذا مع بقاء الحق لأولياء المقتول بالمطالبة بإيقاع القصاص، وعدم العفو والصفح عن القاتل، لأن العفو أحيانًا قد يطمع القاتل بتكرار فعلته، خاصة إن كان ذا نزوع إجرامي، لا وازع له من دين أو خلق كريم.

---

[١٦٠] سنن أبي داود، ج١٢، ص٢٧٩؛ سنن النسائي، ج٨، ص٣٤-٣٥، عن عائشة.

[١٦١] عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم، ج٥، ص٣٥٣-٣٥٤.

www.mtenback.com

وكذلك بالنسبة للجراحات، والاعتداءات التي يجب فيها الأرش، فيفضل اللجوء فيها إلى الصلح، وعدم القصاص، مع بقاء الحق للمصاب بالمطالبة بإيقاع القصاص.

الإصلاح بين المتخاصمين في الأملاك والحقوق:

من أشكال التنازع الخلاف الذي يقع بين الناس في الأملاك والحقوق، وأمثلته كثيرة جدًا منها:

التنازع على الأرض بتغيير معالمها ومراسمها.

والتنازع على الطريق والأحقية في استخدامه.

والتنازع على الأموال وخاصة في التجارة والبيع والشراء.

والتنازع في الديون والودائع والأمانات.

والتنازع في توزيع الواجبات في العمل.

والتنازع في الأجور المستحقة للعمال في المصانع والمزارع والمتاجر وأماكن العمل المختلفة، أو الأجور المترتبة على استئجار البيوت أو المحلات التجارية أو الأراضي وغيرها.

والتنازع في الأولويات في نيل الرتب والمكافآت، وتولي المهمات، واعتلاء المناصب.

وغالبًا ما ينشب النزاع في هذه الأمور بسبب الجهل، وغلبة الهوى، حين ينحّى الشرع الحنيف والعقل الحصيف اللذان ينهيان عن كل ما يثير النزاع، ففي البيوع والتجارة نهى الإسلام عن البيوع التي تفضي إلى النزاع مثل: بيع الملامسة والغَرَر، وتلقي الركبان، وبيع حاضرٍ لبادٍ قبل أن يرد السوق، وغيرها. وفي الأرض ومراسمها حذر بشدة من اغتصاب قيد شبر من الأرض، كما توعد من يغير منارها بالعقوبة الأخروية الأليمة وفي الطريق أمر بالتسامح، ونهى عن الجلوس على الطرقات، أو البول على قارعة الطريق، ونهى عن منع الجار جاره من أن يغرز خشبة في جداره، وأمر

www.mtenback.com

بالتواصل. وفي الديون والودائع والأمانات أمر بكتابتها والإشهاد عليها. وفي الأجور حذر من تأخير دفع الأجرة لصاحبها، وحذر من الظلم، وأمر بإتقان العمل، ورغب بالتقوى وحذر من المحق في حال الغش والخيانة، وغير ذلك.

لقد كانت هذه التشريعات التي شملت مصالح الناس شمولاً دقيقًا ناضجًا لأجل الوقاية من الوقوع في النزاع والخلاف الذي يفسد الود، ويثير الأحقاد والضغائن. فإذا وقع النزاع وجب فضه بالحسنى، ووجب على المصلحين التحرك لاحتواء المشكلة حتى لا تتفاقم، وهذا الجانب يحتاج إلى اهتمام وتوجيه وعناية، لأنه عام متكرر قد يقع فيه كثير من الناس.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «أنفع الناس للناس»، قيل: يا رسول الله فأي الأعمال أفضل؟ قال: «إدخال السرور على المؤمن»، قيل: وما سرور المؤمن؟ قال: «إشباع جوعته وتنفيس كربته، وقضاء دينه، ومن مشى مع أخيه في حاجة كان كصيام شهر واعتكافه، ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام، ومن كف غضبه ستر الله عورته، وإن الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[١٦٢].

فهذا حديث جامع رغب فيه المصطفى ﷺ بفعل كل ما ينفع الناس، والإصلاح بينهم، فيه تنفيس كربة، وقضاء حاجة، ورفع ظلم، وكف غضب، وغير ذلك.

مواسم إصلاح ذات البين:

وهناك مواسم تتهيأ فيها أسباب إصلاح ذات البين، ترق فيها النفوس وتلين القلوب، وتصير أخضع للحق وأسمع له. فتكون فرصة طيبة لذوي المعروف والإصلاح

---

[١٦٢] محمد بن أحمد الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، ط١، (١٤١٥هـ)، ج١، ص١٩٣.

www.mtenback.com

أن ينشطوا في سعيهم الخيّر. ومن هذه المناسبات شهر رمضان المبارك والعيدان، ففي شهر رمضان تصفو النفوس، وتلين القلوب، ويكون الناس أكثر تهيؤًا واستعدادًا للقبول بالصلح، وكذلك في الأعياد، إذ هي مناسبات يفرح بها الناس، ويحرصون على البعد عن المنغصات، فيكون احتمال القبول بالصلح أكبر، ومجال الإصلاح أوسع.

وقد اعتاد المصلحون عند حلول أي من تلك المناسبات أن يقوموا بجهود عظيمة في رأب الصدع بين أفراد المجتمع، وأن يبرزوا فضل هذه المناسبات بين الناس، فإن كانت المناسبة شهر رمضان المبارك، مثلاً، ذكّروا المتخاصمين بأهمية الشهر الكريم، وأنه مناسبة للعفو والمغفرة والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، وأن إصلاح ذات البين من أفضل الأعمال الصالحة.

وكذلك في العيد الذي هو مناسبة يستحب فيها صلة الأرحام، والسعي في إصلاح ذات البين، والتودد للأقارب والأصدقاء والأهل والجيران، ومشاركتهم في الفرحة.

ومن المناسبات اغتنام أوقات فرح المتخاصمين، كالأعراس والرزق بمولود، والشفاء من مرض، والنجاح في دراسة، وغيرها.

فهذه المناسبات وغيرها مما يجتمع فيه الناس على خير، مناسبات مهمة للإصلاح بين المتخاصمين، إذ تطغى فيها بهجة الفرح والسرور في القلوب على ضغائن الأحقاد والمشاحنات، فتكون الاستجابة أكبر لداعي الصلح، ويكون الاستعداد أقرب للتنازل عن بعض الحقوق من أجل إنهاء العداوة التي لاتجلب إلا الهم والغم للمتنازعين.

كما أن هناك مناسبات أخرى مثل مجالس العزاء عند موت شخص قريب لفريق مخاصم، حيث يُذَكَّر أهل الميت بالنهاية المتحتمة، وأنه لا فائدة من استمرار النزاع، وبقاء الضغائن، ويبين المصلح عاقبة ذلك، ويذكّر بالمآل والمصير، ومثل هذه المجالس تستغل في الإصلاح، لأن المصائب تلين القلوب في الغالب، بما ينخلع عنها من الركون إلى الدنيا والتعلق بأهوائها.

www.mtenback.com

وبهذا يسعد الناس، وتوصد أبواب الشر، وتفتح أبواب السعادة والخير ليعم الفضل والسلام الجميع.

صفات المصلحين:

الإصلاح بين الناس في المجتمع فن وإبداع في التعامل مع الناس بمختلف مشاربهم وتوجهاتهم،ولا يجيده إلا من وفقه الله لذلك الخير، وهؤلاء في غالب الأحوال قلة، ويندر وجودهم، ولكن الالتزام بمبادئ الإسلام والائتمار بأوامره، واتباع سنة المصطفى ﷺ، والتمثل بالقيم والمكارم تربي الفرد على حب الخير، مما يولد هذه الصفات الإصلاحية في أبناء المجتمع حتى تكاد تكون عامة؛ ولذلك نجد المصلحين يتمتعون بصفات معينة لابد من تحققها بأشخاصهم حتى يكون التوفيق حليفهم في مهماتهم الفاضلة.

فمن تلك الصفات أن يكون من أهل الصلاح المعروفين بالتقوى وحسن النية، وأن يكون من أهل الحل والعقد، مسموع الكلمة من الفريقين، وأن يضع نصب عينيه العدل بين المتخاصمين، فإذا فقد المصلح بين الفريقين العدل، ودخله الهوى والميل مع فريق فإنها مفسدة، وأي مفسدة.. ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[١٦٣].

كما ينبغي أن يجعل الإخلاص باعثه على الإصلاح، وألا يخالط نيته طلب سمعة أو رياء، وألا تكون له مصلحة دنيوية يسعى لتحقيقها بالإصلاح بين المتخاصمين. ويجب عليه أن يقف إلى جانب المظلوم إذا أبى الظالم الصلح، فينصره ويعمل على رد حقه.

ويستحب للمصلح أن يتكفل بدفع ما يترتب على الإصلاح من نفقات من ماله إن كان ميسوراً أو من مال أهل الخير إن كان فقيراً أو من كليهما، فهذا يعظم أجره، ويجلب التوفيق بإذنه تعالى.

---

[١٦٣] سورة النساء: ٥٨.

www.mtenback.com

وقد كان العربي قديمًا لا يبخل بماله في إصلاح ذات البين، ويدفع الكثير منه من أجل هذه الخصلة الكريمة، كما فعل هرم بن سنان، والحارث بن عوف، وغيرهما.

قال إبراهيم بن العباس الصولي[١٦٤]:

وَلَكِنَّ عَبْدَ اللهِ لَمَّا حَوَى الْغِنَى ... وَصَارَ لَهُ مِنْ بَيْنِ إِخْوَانِهِ مَالُ

رَأَى خَلَّةً[١٦٥] مِنْهُم تُسَدُّ بِمَالِهِ ... فَسَاهَمَهُمْ حَتَّى اسْتَوَت بِهِمُ الْحَالُ

وهناك صفات خلقية سلبية يجب أن يبتعد عنها المصلح، ومنها: إفشاء أسرار المتخاصمين، والتشهير بهما أو بأحدهما، كما عليه أن يقوم بالتوجيه بعيدًا عن التوبيخ والإهانة، قال الإمام الشافعي رحمه الله[١٦٦]:

تَعَمَّدْنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي ... وَجَنِّبْنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَهْ

فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ... مِنَ التَّوْبِيخِ لاَ أَرْضَى اسْتِمَاعَهْ

وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي ... فَلا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهْ

كما ينبغي عليه أن يكون ذا خبرة في أحوال الناس ومنازعاتهم وحقوقهم وواجباتهم، وأن يكون عارفًا بأعرافهم وعاداتهم، وأن يكون ذا حنكة ودراية في أساليب التوفيق والتقريب بين وجهات النظر، وذا معرفة في أحكام الصلح.

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[١٦٧].

---

[١٦٤] شعر إبراهيم بن العباس الصولي: الطرائف الأدبية، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٣٦-١٣٧.

[١٦٥] الخَلّة، بفتح الخاء: الحاجة، والفقر، والخصاصة.

[١٦٦] الشافعي: شعره وأدبه، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، دار الرشيد، للنشر والتوزيع، الرياض، ص١١٦.

[١٦٧] سورة الأعراف: ١٩٩.

www.mtenback.com

حاجتنا إلى الإصلاح:

تشتد الحاجة للإصلاح في ظل الفتن والبعد عن الجادة، حيث تكثر المنازعات والخلافات والمشكلات بين الناس.

وهي في أيامنا أكثر ضرورة للفرقة التي تعيشها أمتنا، وللأسباب الكثيرة التي مزقت الروابط، وفتتت الأواصر، وحطمت كثيراً من القيم، وبرزت نزاعات كثيرة على مختلف المستويات والأصعدة، بين الدول، وبين الجماعات، وبين الأفراد، بشكل مُخزٍ يندى له الجبين.

ففي حالات مثل هذه بذلت جهود للإصلاح ولكنها لم تكن كافية، كما أنها لم تكن قادرة على إزالة كثير من العقبات والمحاولات لوقفها وحرفها عن مسارها الخاطئ، وبالتالي فشلت و لم تؤت ثمارها.

إن الأمة بحاجة ماسة لجيوش من المصلحين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسددون ويقاربون، ويصلون ولا يقطعون، ويحسنون ولا يسيئون، رائدهم في إصلاحهم الحكمة والموعظة الحسنة، وزادهم تقوى الله والهمة العالية، ومعينهم كتاب الله وسنة نبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

لقد استشرت النزاعات وتغلغلت في جسد الأمة، وهناك من يرضيه وينفعه أن يؤججها ويشعل نيرانها، والجهود والإمكانات المتوافرة التي تبذل لإطفائها وفصلها قليلة وضعيفة وقاصرة جداً، وغالباً ما تواجه بصعوبات وعقبات كأداء، مثل إرجاف المرجفين، وبث الإشاعات المغرضة الكاذبة من قبل المفسدين والمنافقين والعملاء، ومثل الضغوط الداخلية والخارجية من قبل الجماعات ذات النفوذ، أو الدول التي يهمها بقاء الفتنة حية، ومن مصلحتها استمرار التنازع والاقتتال، وغير ذلك.

ومن عوامل فشل محاولات الإصلاح في مثل هذه الحالات عدم كون المصلحين - في الغالب - من أهل الحل والعقد، أو ممن أخلصوا النية في عملهم، وكان همهم

www.mtenback.com

الإصلاح بعيداً عن المصالح الشخصية والمنافع الذاتية، فكثيراً ما سعى المصلحون لـــرأب الصدع، وتخفيف حدة النزاع بين فئتين أو دولتين، حتى إذا بلغوا المنتهـــى، وكـــادوا يخرجون بحل يرد المياه إلى مجاريها جاء من يفسد ويؤجج نار الحـــرب والفرقـــة مـــن جديد!!

وكثيراً ما قام المصلحون بجمع أطراف النزاع لفض خلافاتهم، وربما كان ذلك الاجتماع في ظل الكعبة المشرفة، ثم لا يلبث بعض أطراف النزاع بعد الاتفاق علـــى الصلح والتعهد بوقف النزاع أن يُنْشِبَ نار الحرب من جديد، أو قد يقوم بهذه المهمة أولئك المتربصون الذين يعملون داخل الصفوف في الخفاء.

إن وحدة الأمة عامل مهم لتحقيق رفعتها وعزتها، وخاصة في هذه الحالة الـــتي تعيش فيها الأمة بأكملها تحت وطأة السياسة الاستعمارية التي سلكت نهج «فـــرِّق تسُد»، والخروج من هذا الواقع المؤلم يستوجب التكاتف والتعاون وتكثيف الجهـــود على كل المستويات لجعل هذه الغاية نصب الأعين، من أجل تحقيقها، والسير في هـــذا الطريق مهما بلغت الصعاب حتى تبلغ الأمة غايتها في عقد وحدتها، وربط أواصرهـــا، وعودة مجدها.

ربما نوافق الصواب لو قلنا إن هذه الغاية تحتاج إلى بدايات مهمـــة، وقواعـــد وأسس لابد منها لتقوم عليها، ونعني بذلك التوجيه لإصلاح القاعدة، بفض النزاعـــات الفردية، أو نزاع الجماعات والفئات المختلفة، لتوجيه جهودها نحو الغايـــة العظمـــى، وهي صلاح الأمة بتوحيدها جميعًا.

ومن الأمثلة على الأنشطة الإصلاحية الاجتماعية إنشاء جمعيات خيرية، فالحاجة ماسة إلى إنشاء جمعيات خيرية تقوم بالإصلاح بين الناس وتنمية الروابط القوية بينهـــم، وجمع كلمة الأمة، ورعاية حقوق المجتمع والحفاظ على وحدة الهدف والقيام بالتعـــاون بين الناس، والبعد عمّا يفرق الجماعة مهما كان موقفها أو الاختلاف معها، والنظر إلى

www.mtenback.com

المجتمع العربي بوحدته الكاملة. وخير ما يساعد على ذلك قيام كل مدينة أو قرية أو جماعة بتأسيس جماعات أو جمعيات للإصلاح والسعي إلى تعريف الناس بفضله وأهميته.

ولو نظرنا لحال الأمة من الداخل لوجدناها منهكة بالخلاف والشحناء، ولوجدنا القلوب متنافرة بسبب حب الدنيا والحرص على ملذاتها وشهواتها، لذا يتطلب الأمر توجيهًا وتوعيةً كبيرين، وهذا بدوره يحتاج لجهود تبذل من قبل العلماء والدعاة والمصلحين، بعيدًا عن الهيئات الدولية التي لاتقوم على الحق والعدل في السعي للإصلاح، بل رائدها في ذلك السمعة والرياء، والمصلحة الذاتية، ولهذا نجدها تكيل بمكيالين، وتزن بميزان المصالح والمنافع التي تعود عليهم بالخير، دون الالتفات إلى مصلحة أمتنا وشعوبنا بحال.

وهذا يدعونا إلى الاستقلال في القرار والتنفيذ، ويحتم علينا الخروج على العرف السائد، الذي يجرنا للتبعية الجبرية القاهرة، ويفقدنا القدرة على التحكم في شؤوننا ومصادر رزقنا، وتوجهاتنا.

إننا لو خالطنا الناس وجدناهم مشارب شتى، وتوجهات مختلفة، وليس منهم جماعة يحسب كل أفرادها على قلب رجل واحد، سواء في المدن أو القرى أو القبائل والعشائر، وسواء في السوق أو أماكن العمل، أو حتى المساجد. وإن البيوت لا تخلو من الاختلافات الحادة بين الأخ وأخيه، والزوج وزوجته، والابن وأبيه.

هذه الحال المحزنة التي نعيشها لا تتغير إلا بتغير الناس، أو بعزمهم على التغيير، وهذا يحتاج إلى بذل وتضحية.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[١٦٨].

---

[١٦٨] سورة الرعد: ١١.

www.mtenback.com

مُعوّقات الإصلاح:

تعترض المصلحين عقبات ومشكلات قد يصعب عليهم حلها أو تجاوزها، وهذه العقبات تختلف حسب نوع الإصلاح، فمنها ما هو خاص بالدول، ومنها ما هو خاص بالجماعات، ومنها ما هو خاص بالأفراد، ومن هذه العقبات والمعوقات: كثرة الفتن، مثل فتنة القتل، أو السجن، أو النهب والسلب وانعدام الأمن، وهذه هي من أكبر العقبات أمام المصلحين، إذ في الغالب تشتعل مثل هذه الفتن عند بلوغ المصلحين الغاية في التوفيق بين الأطراف المتنازعة، ثم لا يلبث العقد أن ينفرط، وتعود الخلافات أشد مما كانت عليه، نتيجة إقدام مجهولين على ارتكاب مجزرة، أو شن هجمات، أو اعتداء على آمنين من الطرف الآخر.

ومنها وجود المنافقين الذين يسعون في الأرض فساداً ويتربصون بالمصلحين والصالحين، وهؤلاء قد يقدمون على أفعال شنيعة مثل قتل المصلحين، واعتراضهم، وتهديدهم، أو خطفهم لمنعهم من إكمال مهمتهم، وقد ينفذون مخططات تفشل كل محاولات الإصلاح بالضغط على طرف من الأطراف المتنازعة في عدم قبول الشروط.

ومنها وجود أصحاب المصالح والمنتفعين باستمرار الخلاف والفتنة، مثل المهربين، وتجار السلاح، وغيرهم.

ومنها وجود ضغوط خارجية، وهيمنة جهات يهمها استمرار الخلاف كي تصل إلى غايتها مما ليس فيه خير للبلاد وأهلها.

ومنها تبعية بعض الجهات للدول الأجنبية، وتبنيها فكراً مشابهًا لفكر هذه الدول، مما يجعل من الصعب إقناعها باتفاق مع الفئات التي تتمسك بمصالح الوطن وأهله.

ومنها الشعور بالتميز والفوقية لدى بعض أطراف النزاع، وهذا يعطل على المصلحين المضي في مهمتهم بسبب إصرار هذا الطرف على فرض آرائه ومقترحاته.

www.mtenback.com

ومنها حرص بعض الأطراف على المنصب، وحب الرياسة، والتمسك بالأحقية في حكم البلاد وسياسة أمورها.

ومنها عدم وجود دعم وسند من دولة قوية تضغط على المتخاصمين كي يرضخوا للمصلحين، وتحمي هؤلاء المصلحين، وتقدم لهم العون المادي والمعنوي في طريقهم الإصلاحي.

ومنها غلبة الهوى، إذ يصر المتخاصمان أو أحدهما على مطالبه، ويرفض الانصياع لحكم المصلحين.

ومنها الجهل، وهذه عقبة تحبط تنفيذ مهمة المصلحين، إذ كيف يفهم الجاهل، أو كيف يتم إقناعه وهو لا يعرف الغاية من الإصلاح، وقد يعتقد أن المصلح في حكمه يريد أن يخدعه ويسلبه حقه من أجل خصمه.

ومنها التأثير من قبل الآخرين، وهؤلاء قد يكون لهم مصلحة في الخلاف، فيؤججون النار كلما كادت تنطفئ.

ومنها الحرص، وهذا داء عضال، يؤدي بصاحبه إلى الإصرار على باطله بغية تحصيل منفعة دنيوية قد تفوت بالإصلاح، كما يمنعه من التنازل عن أي حق لخصمه من أجل رأب الصدع.

وقلة المال اللازم للتقريب بين المتخاصمين، قد يكون سببًا في تعثر الصلح.

إصلاح ذات البين ودوره في التربية:

ينبغي للإنسان أن يبدأ بإصلاح نفسه أولاً، فعليه أن يطهرها ويهذبها ويقيمها على طريق الصلاح والخير، لتصبح نفسًا رضية، ثم ينتقل الإنسان بعد ذلك إلى إصلاح غيره، ويكون بذلك قدوة له، وقد قال أحد الحكماء: «الصالحون يبنون أنفسهم، والمصلحون يبنون الأمم»[١٦٩].

---

[١٦٩] أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، (١٤٠١هـ).

www.mtenback.com

وبشيوع المنهج الإصلاحي في المجتمع، تتوافر الحصانة التربوية الواعية، وتتخرج الأجيال التي يعتمد عليها في بناء المجتمع بناءً سليمًا قويًا تستعصي عليه محاولات الهدم من الداخل، ويصعب اختراقه وإثارة الفتن فيه من الخارج.

فمنهج الإصلاح يجعل الفرد في المجتمع يستعلي على الأثرة وحب الذات، ويقدم مصلحة وَحْدة الأمة والجماعة والشعب على مصلحته الفردية، كما يربي فيه الشعور بالمسؤولية نحو البنيان السامق الذيْ ينتمي إليه، بالحفاظ على مقومات ترابطه ووحدته، وينمي فيه حب الخير للآخرين، والسعي لنفعهم، وإيثارهم بالمال والوقت والجهد، ويصنع جيلاً حريصًا على نقاء المجتمع من كل المفاسد، وعاملاً على الرقي الإنساني لرفع مكانة مجتمعه بين المجتمعات، جيلاً هممًا واعيًا يملك طاقة هائلة للعمل والإصلاح.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١٧٠].

إن الأسلوب الذي دعا الإسلام فيه إلى الإصلاح بين المتخاصمين يدفع المخلصين من أبناء المجتمع للتحلي بهذه الخصلة، واغتنام الفرص التي تحقق الفوز بأجر الإصلاح العظيم، فقوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾[١٧١] يرتب الأجر على الشفاعة التي تنهي خصومة وتصلح بين متنازعين، وذلك بتنازل أحدهما عن حقه أو بعضه للآخر، كما أن في الحديث الشريف: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة»[١٧٢] حثًا على بذل المعروف والعدل بين الناس، ويتضمن الحث على الإصلاح، لأنه من أفضل أنواع المعروف على الإطلاق.

---

[١٧٠] سورة الأعراف: ٣٥.

[١٧١] سورة النساء: ٨٥.

[١٧٢] رواه البخاري، (كتاب الصلح)، باب (فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم)، ٣/١٧١.

www.mtenback.com

هذا بالإضافة إلى الآيات الكثيرة، والأحاديث النبوية العديدة التي ذكرناها وتتعلق بالإصلاح.

من هذه التربية ينشأ الحرص على البناء الاجتماعي، والاهتمام بتربية أفراده، وتنشئتهم تنشئة سليمة تأخذ بأيديهم إلى بر الأمان.

ونستطيع القول بأن التربية بمعناها الشامل هي إصلاح وتقويم للنشء في المجتمع، ويندرج تحت هذا المعنى كل القوانين والوسائل والأساليب التي تُطبق في مجال التربية، وتعمل على رقي الأجيال، وتعليمهم القيم والأخلاق والفضائل.

وما دام المربون لا يألون مجتهدين في الإصلاح، فما عليهم إلا أن يخلصوا في عملهم هذا لتكون الثمرة طيبة، ولكي تؤتي المهمة التربوية أكلها. لأن أي انحراف في ذلك قد يفضي إلى انحراف في الأجيال الناشئة، أو يؤدي إلى تراجع في بناء الأخلاق والقيم مما يعود بأثره السيئ على المجتمع عامةً.

ويمكن القول إن التربية بناء، والإصلاح ترميم، وكل بناء لابد - مع الزمن - أن يحتاج إلى ترميم، ولو فقد من يعمل في مجال الترميم فإن البناء سيتآكل شيئًا فشيئًا حتى ينهار تمامًا. وكذلك المجتمعات لو فقدت المصلحين!!

والمصلح يربي بأخلاقه وأفعاله الخيرة، فهو قدوة للآخرين، يمارس الفضائل مجتهدًا بنفسه ليبين للناس الصواب ويدلهم عليه، ويجنبهم الوقوع في الخطأ، وبذا يتجلى أن ممارسة الإصلاح إنما هي تربية عامة تشمل عينات كثيرة تعيش في جو الخلافات والمنازعات، فتتأثر وتعرف مواطن الخلل.

تحدثنا عن الإصلاح حديثًا مفصلاً، وبينا أهميته وآثاره التي من أهمها حماية المجتمع من عوامل الضعف والتفكك والانهيار، وصيانة أفراده وتحصينهم من الوقوع في الفتن والتشتت والتشرذم.

www.mtenback.com

إن الإصلاح صفة من صفات المؤمنين، وعامل خير يؤلف بعون الله بين القلوب، وهو خلق فاضل يرفع شأن الأمة ويعزها، ويزيل الضغائن، ويزرع المحبة والود والتراحم، كما يجلب الأمن والأمان، ويوحد الأمة، ويؤلف بين أبنائها، ويقوي الروابط الاجتماعية، ويحمي المجتمع من محاولات التغلغل والدس التي يقوم بها الأعداء في الخارج، وهو يحمي من العواقب الربانية الوخيمة التي تترتب على انتشار الفساد، وخلو المجتمعات من المصلحين.

والإصلاح عامةً بناء وإعمار وحضارة، وفيه طهارة ونقاء للنفوس والمجتمعات من الشوائب الأخلاقية، كما أنه يقوي الشعور بالانتماء للأمة، والحفاظ على مقدراتها وكينونتها من الضياع والانهيار.

إن وجود المصلحين عاملٌ مهم لاستقرار المجتمع، والتأليف بين قلوب أبنائه، وغيابهم يؤدي إلى شيوع الجريمة والفساد.

ولكي يقوم المصلحون بمهمتهم لابد من وجود مجتمع يسوده العقلاء، حتى إذا نشب الخلاف عرفوا كيف يقربون بين وجهات النظر، وكان الاستعداد لقبول الصلح موجوداً لدى طرفي النزاع، لأنه لو لم يكن موجوداً، وغلبت نزعة الشرّ والفساد لما استطاع المصلحون المضي في واجبهم، وتحقيق ثمرة جهدهم، ولكانت العقبة كأداء، مما يحتم عليهم بذل جهدٍ أكبر لتشجيع الطرفين على التفاهم والتقارب؛ لإضفاء جو الود والألفة، حتى يتمكنوا من إرساء قواعد الإصلاح.

ونجد المصلحين في كل مجتمع يحاربون الفوضى، ويدعون للعقلانية والاتزان، ويبينون مثالب التمسك الأعمى بالعصبيات ابتغاء التفاخر والمباهاة، ويعملون على طهارة المجتمع، من كل شوائب الأخلاق وأدرانها. أما إن كان جهال المجتمع هم الأسياد وأهل الحل والربط فإن زرعهم لن يؤتي ثماره، ويؤدي إلى خير، قال الشاعر الأفوه الأودي[١٧٣]:

---

[١٧٣] الأفوه الأودي: ديوانه، ص١٠.

www.mtenback.com

لاَ يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضى لا سَرَاةَ لَهُمْ ... وَلاَ سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا[١٧٤]

تَبْقَى الأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأيِ مَا صَلحَتْ ... فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالأَشْرَارِ تَنْقَادُ

حَانَ الرَّحِيلُ إِلَى قَوْمٍ وَإِنْ بَعُدُوا ... فِيهِم صَلاحٌ لِمُرْتَادٍ وَإِرْشَادُ

من هذه الكلمة يتبين لنا جليل دور الإصلاح والمصلحين في تحصين المجتمع، وضرورته وأهميته في البناء، ويحتم على أفراد الأمة التي تريد النهضة والرفعة أن يسلكوا نهج المصلحين كل على قدر استطاعته، وإمكاناته، وفي بيئته التي يعيش فيها، وذلك يحتاج إلى تخطيط، وتضافر جهود، وتوعية مكثفة بجميع الوسائل الحديثة المتاحة، ويحتاج قبل كل ذلك إلى إخلاص من أبناء الأمة، وتوفيق من الله العلي القدير.

[١٧٤] سراة: أشراف، والمراد سادة يحكمونهم، ويفصلون في خصوماتهم، ويقضون بينهم في منازعاتهم.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مصطفى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
آل عمران	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...الآية﴾	١٠٢	٣٣
	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا من...الآية﴾	٣٥	٥٧
	﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ.. الآية﴾	٥٨	٧٣
النساء	﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا.. الآية﴾	٨٥	٨٠
	﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا.... الآية﴾	٨٦	٢٩
	﴿لا خَيْرَ فِي... إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ... أَوْ... الآية﴾	١١٤	٢٧
	﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ... الآية﴾	١٢٨	٥٨
المائدة	﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ.....الآية﴾	٤٢	٥٠
الأعراف	﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي...الآية﴾	١٤٢	٢٥
	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ..الآية﴾	١٩٩	٨٠
التوبة	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ...الآية﴾	٦٠	٢٨
	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ... الآية﴾	١	٣٥
الأنفال	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا....الآية﴾	٤٦	٦٤
	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى... الآية﴾	٦١	٥٥
	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا...الآية﴾	١١٧	١٢
هود	﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي...الآية﴾	٨٨	٢٤
	﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ ...الآية﴾	١١٦	٢٥
	﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا... الآية﴾	١١	٧٧
الرعد	﴿يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ... الآية﴾	٢٥	٢٧
الكهف	﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا... الآية﴾	٥٢	٩
الشعراء	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ..الآية﴾	١٥٠-١٥٢	٢٧

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
فصلت	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ... الآية﴾	٣٤	٢٩
الشورى	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ.... الآية﴾	٤٠	٢٧
محمد	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ...الآية﴾	٢٢	٢٧
	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا... الآية﴾	٩	٦٢
الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ ... الآية﴾	١١-١٢	٥-٦

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»	٣١
«أبنْ القدح عن فيك»	٩
«اذهبوا بنا نصلح بينهم»	٣٤
«أفضل الصدقة إصلاح ذات البين»	٦٥
«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة..»	٢٨
«ألا أدلك على تجارة؟ قال: بلى»	٢٩
«ألا أدلكم على ما تحابون به؟ أفشوا السلام بينكم»	٢٩
«إن إبليس يضع عرشه على الماء»	٦٠
«إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون»	٦٧
«أنفع الناس للناس»	٧١
«إنه في المعاريض لمندوحة عن الكذب»	٤٦
«إنكم تختصمون إليّ، وإنما أنا بشرٌ»	٦٧
«إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس»	٤٠-٤١
«إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»	١٠
«إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر»	٥٠
«إن من موجبات المغفرة إدخال السرور»	٦٥
«إنهم من إخوانكم فضلكم الله عليهم»	٣٧
أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار»	٣٥
«تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس»	٦٦
«على المقتتلين أن ينحجزوا الأول فالأول»	٦٩
«فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم»	٣٦
«قوموا فانحروا، ثم احلقوا»	٥٦

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«لا أعده كاذباً الرجل يصلح بين الناس»	٤٥
«لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا»	٣٠
«ليأخذ كل رجل منكم بطرف من أطراف الثوب»	٣٣
«ليس بالطويل البائن»	٩
«ما أحب أن لي بحلف حضرته بدارِ ابن جدعان حمر النعم»	٣٢
«ما حديث بلغني عنكم؟»	٣٦
«من أصلح بين اثنين استوجب ثواب شهيد»	٤١
«من أصلح بين الناس أصلح الله أمره»	٦٥
«من ضارَّ مسلماً ضارَّهُ الله، ومن شاق مسلماً شق الله عليه»	٣١
«من فعل كذا وكذا، أو أتى مكان كذا وكذا فله كذا»	٣٥
«من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»	٤٠
«هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»	٢٨
«والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها»	٥٦
«يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية»	٣٧
«يا أيها الناس، أفشو السلام، وصلوا الأرحام»	٣٠
«يا معشر المسلمين، الله الله»	٣٤

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ء ـ		
واتركو	الداءُ	الحارث بن حلزة	٤	٢٣
ولا خير	بَقاءُ	ـ	١	٥٤
		ـ ب ـ		
إذ ما علوا	ولا أبُ	ـ	١	٦١
للحرب قوم	وثبوا	ـ	٢	٢١
سليم	أو للأقاربِ	مالك بن عوف النضري	٣	١٦
دعوت	حاطبِ	قيس بن الخطيم	٤	٢٠
		ـ ح ـ		
فمن	بقرواحِ	ـ	١	٤٧
		ـ د ـ		
لا يصلح	سادُوا	الأفوه الأودي	٣	٨٣
فإن حمير	أولادها	الأعشى	٢	٢١
متى نخف	لا نفسد	مضرس بن ربعي	٣	٢٠
		ـ ر ـ		
تلق ذباب	بشاعرِ	صفوان بن المعطل	١	٣٨
أبا مصلح	الفقرِ	ـ	١	٥٣
		ـ س ـ		
من يفعل	والناسِ	الحطيئة	١	٤٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ع ـ		
من يذق الحرب	بجعجاعِ	أبي قيس بن الأسلت	١	١٤
فأحسن	تقشعُ	ـ	٢	٦٦
تعمدني	الجماعةْ	الإمام الشافعي	٣	٧٤
		ـ ق ـ		
والعيش	اتفاقِ	ـ	١	٥٨
شريت صلاحهم	وريقا	عبد الله بن جدعان	١	٥٣
		ـ ل ـ		
ولكن عبد الله	مالُ	إبراهيم بن العباس الصولي	٢	٧٤
فلو مُدّ سروي	باذلا	الأحنف بن قيس التميمي	٢	٥٢
يود سنان	والأزل	قيس بن زهير العبسي	٣	١٤
وإن نزلت	فاجعلوا	ابن صرمة	٢	٥٣
فخير مال	العملِ	ـ	٦٦	٢
		ـ م ـ		
ألا أبلغ	صرامُ	بشر بن أبي خازم	٢	٢٠
ألا هل	وميثما	ـ	٦	٦٢
وما الحرب	المرجمِ	زهير بن أبي سلمى	٥	١٦
سعى ساعيا	بالدمِ	زهير بن أبي سلمى	٦	١٨
الشعر	الكرمِ	ـ	٢	١٩
لو أن	الكرمُ	يوسف الجوهر	٢	١٩
كلا أخوينا	عرمرمِ	ـ	٣	١٥
مالي ومالك	هرمُ	الطائي	١	١٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
فهلا	الأقصم	الحارث بن حلزة	٤	٢٤
أذاقتهم	السلم	الأعشى	١	١٤
بني عمنا	السلم	الأعشى	٤	١٤
صبرت على	والسلم	معن بن أوس المزني	٤	٦٨
قومي	سهمي	الحارث بن وعلة	٢	١٦
لا تنه	عظيمُ	أبو الأسود الدؤلي	١	٤٢
ـــ ن ـــ				
أحسن	إحسانُ	أبي الفتح البستي	١	٤٢
لحا	آجنَا	قيس بن زهير العبسي	١	١٤٧
لاه ابن	فتخزوني	ـــ	١	٦١
وإن من	دُونها	ابن الأعرابي	١	١٩
إن المكارم	شيئين	ـــ	٢	١١
ألا قل	سنينَا	أمية بن أبي الصلت	٣	١٧

www.mtenback.com
موقع المتون مرتبة على الأبواب

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

الأبشيهي: محمد بن أحمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:

- الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري.

أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي:

العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ.

الأعشى:

ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت، لبنان.

أمية بن أبي الصلت:

ديوان أمية بن أبي الصلت، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

أنس إسماعيل أبو داود:

دليل السائلين، جدة، ١٤١٦هـ.

أبو بكر الأنباري:

شرح القصائد التسع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٩٤م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت لبنان.
- الحيوان، دار الجيل، بيروت، تحقيق: عبد السلام هارون، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

www.mtenback.com

أبو حامد الغزالي:

- آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، تحقيق: محمد سعود المعيني، مطبعة العاني، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، العراق.
- إحياء علوم الدين، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

حسن أيوب:

السلوك الاجتماعي في الإسلام.

أبو الحسن الماوردي:

أدب الدنيا والدين: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، مصورة عن طبعة القاهرة، ١٩٥٥هـ.

حسين بن محمد الراغب الأصبهاني:

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٦١م.

الحصري القيرواني:

زهر الآداب، وثمر الألباب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٦٩م.

خالد الرشيد:

إصلاح ذات البين، وقتال أهل البغي، مؤسسة الجريسي، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

رشيد رضا:

مجلة المنار، العدد (٧)، ربيع الأول ١٣٤٦هـ/سبتمبر ١٩٢٧م.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني:

تاج العروس، تحقيق: حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٩م.

www.mtenback.com

زهدي صبري الخواجا:

الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي، دار الناصر، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.

السجستاني، أبو حاتم:

المعروف والوصايا، تحقيق: عبد المنعم عامر، مصر، ١٩٦١م..

ابن سعد:

الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

سعيد حوى:

السيرة بلغة الحب والشعر، دار السلام، ط٢، ١٤١٠هـ.

سيد قطب:

في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

الشافعي:

ديوان الشافعي، مكتبة الساعي، الرياض، ١٤٠٩هـ.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:

تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٦٩م.

عبد الرحمن حسن حبنكة:

الأخلاق الإسلامية، وأسسها، دمشق، دار القلم.

عبد الكريم زيدان:

المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ.

www.mtenback.com

عبد الكريم محمود الخطيب:

بهيسة بنت أوس صانعة السلام، دار الخطيب للنشـــر والتوزيـــع، ط٢، ١٤١٤هـــ/١٩٩٣م.

عبد اللطيف محمد العبد:

الأخلاق في الإسلام، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.

عبد الله بن المبارك المروزي:

الزهد والرقائق، دار المعارج الدولية للنشر.

علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، ابن الأثير الجزري:

الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

علي الجندي:

شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي،القاهرة، مصر.

علي المفصل حمودان:

شرح حماسة أبي تمام، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.

أبو علي القالي:

الأمالي، دار الكتاب العربي، بيروت.

أبو الفرج الأصفهاني:

كتاب الأغاني، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن قتيبة:

عيون الأخبار: دار الكتاب العربي، دار الندوة الجديدة، بيروت.

ابن قيم الجوزية:

زاد المعاد في هدي خير العباد: مؤسسة الرسالة، بـــيروت، لبنـــان، ط٥، ١٤١٢هـــ.

www.mtenback.com

القرطبي:

الجامع لأحكام القرآن.

ابن كثير الدمشقي:

- البداية والنهاية: المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط١: ١٤١٣هـ.
- شمائل الرسول، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.

محمد بن أحمد الأبشيهي:

المستطرف في كل فن مستظرف، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، سوريا، ط١، ١٤١٥هـ.

محمد بن إسماعيل الصنعاني:

سبل السلام شرح بلوغ المرام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١١، ١٤١٨هـ.

محمد بن جرير الطبري:

تاريخ الطبري، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.

محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي:

المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها، دار الفكر.

محمد السفاريني الحنبلي:

غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة.

محمد بن يزيد المبرد أبو العباس:

الكامل في اللغة والأدب، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

محمد جاد المولى وآخرين:

أيام العرب في الجاهلية، بيروت، مؤسسة الرسالة، دار قتيبة.

www.mtenback.com

محمد عبده:

نهج البلاغة، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

محمد يوسف الكاندهلوي:

حياة الصحابة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط٦، ١٤١٠هـ.

مجمع اللغة العربية:

المعجم الوسيط، القاهرة، مصر.

د. مفيد قميحة:

شرح المعلقات العشر، دار الهلال، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

المكتب العالمي للبحوث:

الخلافات الزوجية في نظر الإسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

منذر الجبوري:

أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، ١٩٨٦م.

ابن منظور:

لسان العرب: مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

أبو هلال العسكري:

ديوان المعاني، السفر الثالث، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٨٤م.

الخطيب التبريزي:

شرح القصائد العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

www.mtenback.com